نسخة مهداة إلى:

.....

.....

.....

.....

.....

القمة

تهتف فهل من مُجيب؟!

جميع الحقوق محفوظة

شركة تكوين للنشر والتوزيع
جدة طريق الملك فهد
هاتف/ 0509002283

tkweenonline.com.sa

القمة

تهتف.. فهل من مُجيب؟!

«إذا لم تَزِدْ على الحياة شيئًا تكن أنت
زائداً عليها».

قصي إبراهيم عبود مدهش

الطبعة الأولى
1442هـ - 2021م

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله والصلاة والسلام على خير خلق الله محمد بن عبد الله

أما بعد:

عزيزي القارئ: وضعتُ بين يديك جرعةً تشحذ همتك، وتأخذ بيدك إلى برِّ النجاح، فدونك هذه النماذج والقدوات الجديرة بأن يُحتذى بها؛ لما تمتعت به من استقامة ودهاء وعلم وأدب.

هدفي من هذا الكتاب عرض شخصيات نقتدي بها، ونقتبس من مِشْكَاتِها، فيتحرك ما بداخلنا من شغفٍ حبيسٍ وموهبةٍ دفينةٍ، وبعد أن نتعرَّف على مكامن قوتنا نستطيع المساهمة في خدمة الدين والوطن، لتكون لنا بصمةٌ تُذكر وأثرٌ يُشكر في حياتنا وبعد رحيلنا.

أرجو أن أُوفق في إيصال الرسالة وتحقيق الهدف، إن أحسنت فمن الله وإن أخطأت فمن نفسي ومن الشيطان.

إذا لم يكن عَوْنٌ من الله للفتى فأوَّلُ ما يجني عليه اجتهادُهُ

إهداء

ـ لمن يشعر بمسؤوليته إزاءَ دينه ووطنه وأمّته.

«لكل من أجاب النداء».

الخلفاء الراشدون

رضوان الله عليهم

قال تعالى:

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ﴾.

الصّديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

هو خير خلق الله بعد الأنبياء والرسل، وأول من آمن بالرسول محمد ﷺ وبرسالته من الرجال، وهو أول الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشرين بالجنة رضوان الله عليهم، أنجب من صُلبه أطهر وأتقى نساء

العالمين عائشة (أم المؤمنين) وأسماء (ذات النطاقين) رضي الله عنهما.

على يده قامت قائمة الإسلام والمسلمين واعتلى شأنهم حين ارتدَّ كثير منهم بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، حارب وجالد بكلِّ شجاعة وبسالة وكأنه الليث المزمجر في ساحِ الوغى، حتى أرسى ركون الشريعة وعادت لِما كانت عليه في عهد النبي صلى الله عليه وسلم.

لم يكتفِ بذلك؛ إذ اتسع نفوذه وبسط سلطانه في عشيةٍ وضحاها، فهو القائل: «والله لو منعوني عِقالًا كانوا يؤدونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعه».

لم يأبه للخطر المحدق به، بل واجهه بروح أبيّة ونفس شامخة تتوق للمعالي، لا تقبل الخضوع ولا تستريح إلّا بالنصر.

أعلمُ -أيّها الفاضل- أنك اشتقت لمعرفة سيرة هذا البطل الهُمام، وستجد في ثنايا الأسطر القادمة مرامَك،

الذي يشرح صدرك ويُثلِجه.

عُرف أبوبكر الصدّيق -رضي الله عنه- بالكرم والجود والسخاء، فقد أنفق ماله في عتق رقاب المؤمنين لوجه الله، ومن هذه الرقاب التي أعتقها: الصحابي الجليل بلال بن رباح -رضي الله عنه وأرضاه- (مؤذن الرسول صلى الله عليه وسلم).

كما أنه عُرف بالمروءة والشهامة؛ فلم يشربْ خمرًا قط، ولم يعبد أو يسجد لصنمٍ في الجاهلية، بل صان نفسه وعرضه من الأرجاس والأدناس، وكان صاحبَ جاهٍ وسيّدًا من سادات قريش، والأعلم بأنسابها وأنساب العرب، يلتقي نسبه مع الرسول محمد -صلى الله عليه وسلم- في جدّه مُرّة بن كعب.

سُمِّي بالصّديق؛ لكثرة تصديقه للنبي صلى الله عليه وسلم، ولأنه أول من صدّقه عندما بُعث، فقد ناصره وآزره بحاله وماله، ورافقه في حِلّه وترحاله عندما كان في الغار وعندما أُذن للنبي صلى الله عليه وسلم بالهجرة، ونشر رسالته من بعده حتى أسلم على يديه الطاهرتين

كثيرٌ من الصحابة: ستةٌ منهم مُبشَّرون بالجنة.

لأبي بكر الصّديق -رضي الله عنه- مواقف لا ينساها التاريخ، ولا تنساها الأمة الإسلامية، من هذه المواقف ثباتُه الذي ثبّت الله به قلوب المؤمنين عندما علموا بوفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، حينما قال كلمته التي صدعت وخضعت لها الأفئدة ونطق بما عجزت عنه الأفـواه: «من كان يعبد محمدًا -صلى الله عليه وسلم- فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت».

ثم تلا قوله تعالى: {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلى عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ (144)}، فإن هذا الموقف لا يقف أو يثبت فيه إلّا رجل عرف الله حق معرفته.

تولّى الخلافة بعد الرسول -صلى الله عليه وسلم- وهو زاهدٌ فيها لا يرغبها، بل أتته منقادة إليه تجرّر أذيالها، وذلك بعد إجماع الصحابة والمؤمنين؛ لأنه الأحق

والأجدر بها بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

في ذلك الوقت ظهرت ونشبت فتنة الردّة حيث امتنع كثير من القبائل عن أداء حق الله في الزكاة، فلم يلبث إلّا وقد جرّد سيفه من غمده لمحاربتهم وظل بهم مجاهدًا، حتى يعودوا لما كانوا عليه في عهد النبي محمد صلى الله عليه وسلم، استمر يصول ويجول في ردعهم إلى أن نصره الله، وفُتحت على يده فتوحات عظيمة.

رغم هذه الشجاعة والقوّة التي تحلّى بها، إلّا أنه أَسِيف: أي رقيق القلب، لا يكاد يُسمع صوته في الصلاة من شدّة بكائه وخشوعه؛ وجلًا وورعًا من الله عز وجل، قال فيه الرسول صلى الله عليه وسلم: «أرحم أمتي بأمتي»، وقد كان من أجمل الناس صوتًا عندما يقرأ القرآن.

عندما أحسّ بدنو الأجل ولّى عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- خليفةً على المسلمين من بعده، بعد أن أخذ الرأي والمشورة؛ لكي يجمع كلمة المسلمين ويوحّد صفّهم ولا يتفرقون من بعده.

توفي أبو بكر الصّديق، العتيق من النار؛ كما أخبر النبي

صلى الله عليه وسلم، ودُفن بجوار حبيبه محمد صلى الله عليه وسلم.

مات أبو بكر ولم يمت الإسلام ولن يموت، وبيدي ويدك -عزيزي القارئ- سنحمل لواء المسيرة ونكمل ما بدأه أبو بكر ونبدأ من حيث انتهى، إننا نحمل رسالةً عظيمةً علينا إيصالها ونشرها بحذافيرها للعالم أجمع.

فنحن نسعى في الأرض بالخير، وسبيلنا وهدفنا من ذلك هو إنقاذ من تاه في دروب الحياة، وضاقت عليه الأرض بما رحبت، فإن الإسلام دين الله الحق الذي بُعث به الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وهو آخر الأنبياء والمرسلين، والإسلام طوق النجاة والطريق إلى الجنة التي وُعدنا بها من ربّ العالمين.

إنّ أبا بكر كان رجلًا نحيفًا، دقيق الساقين، يسقط الإزار من حَقْوَيْهِ لفرط وشدة نحافته، أجْنَأ -منحني الظهر قليلًا- مع هذا كلّه ترك للأمة الإسلامية مجدًا وعزًّا لا يُضاهى، لقد ضحّى في سبيل إعلاء راية التوحيد لله الواحد القهّار والصمود في وجه الباطل ودحره وكسر

شوكته.

كما أنَّ أبا بكر صدّيقُ هذه الأمة، نحن كذلك نستطيع أن نصبح صدِّيقين مثله رضي الله عنه، وذلك باتباع الحقِّ، وتصديق ما جاء به الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، والصادق من يذعن لله ولا يخشى فيه لومة لائم، قال تعالى: {مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا (23)}، نسأل الله أن يجعلنا منهم.

الدافع -الذي دفع أبا بكر للعمل- همّته العالية، وأنا وأنت نملك همّةً عاليةً تدفعنا لخدمة الأمة الإسلامية، فهبْ أن كلَّ شخصٍ منّا يسخِّر قدرته وطاقته لخدمة هذا الدين وإخراج الناس من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، بالتأكيد سنظفر بجيلٍ موحّد لا محالة، وهذه هي غايتنا.

مهمتي ومهمتك هي نشر الدين للناس قاطبةً، وحثهم على اعتناقه، فأنا وأنت أسبابٌ سخرها الله لهذا الدين، وجنود مجنّدة للدفاع عنه ونصرته، كل ما علينا هو

أن نعزم الأمر ونخلص النّية لله ثم نبدأ العمل، وكل صاحب حرفة بحرفته.

أخـي، أختي قوموا وادعـوا إلـى الله بالكلمة اللينة والموعظة الحسنة، وكونوا ممن قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فو الله لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خير لك من أن يكون لك حمر النعم»، علينا أن نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر؛ لأنها أمانة في أعناقنا جميعًا سنُسأل عنها ونحاسب عليها يوم أن نلقاه جلَّ في علاه.

الفاروق رضي الله عنه

طويلُ القامة، قويُّ البنية، أصلع الرأس، تعلوه حُمرة، فتى قريش وسفيرها، له منزلة رفيعة سامقة بين قومه وعشيرته، اشتهر بحبه للمصارعة والفروسية وركوب الخيل.

إذا مشى أسرع.. وإذا تكلّم أسمع.. وإذا ضرب أوجع

أمير المؤمنين وثاني الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشرين بالجنة رضوان الله عليهم أجمعين، يُكنّى بـ(أبي حفص)، أطلق عليه الرسول -صلى الله عليه وسلم- لقب الفاروق؛ لأنه فرّق بين الحق والباطل، وذلك عندما خرج مُعلنًا إسلامه أمام الملأ، لا يأبه لما سوف يعتريه من ضرر وسخط.

عندما اعتنق عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- الإسلام، لم تجرؤ قريش على صدِّه أو ردعه لقوّة شكيمته ومنعته التي عُرف بها، وأعزّ الله به الإسلام، ومما يدل على ذلك قول ابن مسعود رضي الله عنه: «ما زلنا أعزّةً منذ أسلم عمر» فكان إسلامه عزًّا ونصرًا لأمّة محمد صلى الله عليه وسلم.

كثيرًا ما كان يستشيرهُ النبي -صلى الله عليه وسلم- ويأخذ برأيه، فقد استشاره في مواطن عدّة؛ أبرزها في أسرى غزوة بدر، فكان رأيه أن يقتلهم.

ونزلت آيات من القرآن الكريم توافق رأيه رضي الله عنه، قال تعالى: {مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي

الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (67) لَّوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (68) فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (69)}.

وهذا ليس مستغربًا على رجلٍ قال فيه النبي -صلى الله عليه وسلم-: «وقد كان في الأمم قبلكم مُحدَّثون، فإن يكن في الأمة أحد فعمر منهم».

بعد وفاة الرسول -صلى الله عليه وسلم- ظل المستشار والوزير واليد اليمنى لأبي بكر -رضي الله عنه- طيلة حياته، وبعد وفاته تولّى خلافة المسلمين.

هزم الله على يده الفرس، واستمرت الفتوحات إلى أن فُتحت له بلاد المقدس وصلّى بمسجدها الأقصى، والعظيم في ذلك ما تضمنته (العُهدة العُمرية) من أمن وحفظ لحقوق وممتلكات أصحابها، بل وحرّيتهم التَّامة في اختيار الدين وأداء مناسك العبادة، فلم يُجبر أو يُكره أحدًا على الإسلام.

شهدت الدولة الإسلامية في عهده اتساعًا لم تشهده من

قبل، وساد فيها الرخاء وعمّ الأمن وعاش الناس برغدٍ في سائر البلاد، وأساس ذلك العدل الذي امتاز به الفاروق.

هو أول من وضع التاريخ الهجري، وفصل القضاء عن الدولة، ووضع للقضاة رواتب مجزية لكي يتفرغوا لهذه المهنة ولا يُفتنوا، وأول من عسعس بالليل والناس نيام ليتفقد أحوال الرعية، وفي أحد الليالي وهو يَعُس؛ إذ سمع صوتَ طفلٍ يبكي وأدرك أن أمه تريد أن تفطمه قبل أوانه حتى تُصرفَ له نفقة من بيت مال المسلمين، فعاد وأمر بأن يُصرف لكل مولود في الإسلام.

اشتهر بالزهد والورع وخشيته لله، وكان في خدّيه خطّان أسودان من كثرة البكاء، ومن شدّة تواضعه -رضي الله عنه- كان يلبس ثيابًا مرقعةً، وكثيرًا ما ينعس -رضي الله عنه- وعندما سألوه ألا تنام يا أمير المؤمنين؟! أجابهم قائلًا: «كيف أنـام؟!، إن نمت بالنهار، ضيّعت حقوق الناس، وإن نمت بالليل ضيّعت حظي من الله».

كانت له دِرّةُ (سوط) يؤدب بها من حوله إن أخطأ، ومما قيل فيها: «كانت دِرّةُ عمر أهيب من سيف الحجاج».

عَدَل، فَأَمِن، ثم نام على قارعة الطريق، لا يحرسه حرس ولا يطوقه خنجر، وليس متوشحًا سيفه، وإنما صدع لأمر ربّه، وأقام العدل فيمن حوله من بشرٍ ودابة، فهو القائل: «والله لو عثرت بغلة في العراق لسألني الله عنها: لِمَ لَمْ تمهد لها الطريق يا عمر».

ليس شاهد على فضله وجليل مكانته كقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «لَوْ كَانَ بَعْدِي نَبِيٌّ لَكَانَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ» فرحمك الله يا بن حنتمة وجمعنا بك في جنة الفردوس من غير حساب ولا عذاب.

من أقواله رضي الله عنه:

- لو كان الفقر رجلًا لقتلته.
- أحب الناس إليّ من رفع إليّ عيوبي.
- اخشوشنوا فإن النعم لا تدوم.
- السماء لا تمطر ذهبًا ولا فضة.
- متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا؟!

مات -رضي الله عنه- شهيدًا بعد أن طُعن بخنجرٍ مسموم من حدّاد يُقال له (فيروز) ويعرف بـ(أبي لؤلؤة المجوسي)،

دُفن عمر بن الخطاب بجوار صاحبيه، محمد رسول الله وأبي بكر صدّيق الأمة، بعدما استأذن من عائشة زوجة الرسول -صلى الله عليه وسلم- فأذنت له.

وقبل موته بأيام، خيّر الصحابة وجعل الأمر شورى بينهم، على الخلافة من بعده، فاتفقوا على الصحابي الجليل عثمان بن عفان رضي الله عنه.

عندما قرأتُ وأمعنتُ النظر في ترجمته وحياته رضي الله عنه، وجدت أنه تميّز بالعدل؛ الذي يفوق الوصف منقطع النظير، فقلما تجد مثله، بعدله قاد الأمة وسار بعجلتها إلى الأمام، ودارت رحاه على كل طاغية عاث في الأرض فسادًا، وأزهق وبدد كل باطل يعترض طريق الإسلام والمسلمين.

عزيزي القارئ: كما أن عمر فاروق الأمة والعادل فيها، نُريد أن نكون مثله ونحتذي حذوه، فمن المعلوم أن من استحثَّ الشيء وجده، وحتّى ننهج منهجه -رضي الله عنه- علينا أن نُميّز الصواب من الخطأ ونُدرك أين الحق؟، فإن عرفناه لزمناه وأخذنا به من غير ميلٍ ولا حياد، وعلينا أن ننصف من هم حولنا ونعاونهم على حقوقهم ونكفّهم

عن الأذى ما استطعنا إليه سبيلًا.

من العدل أن نهـذّب أنفسنا، ونأخذها لطريق الجادة، ونسلك بها فجاج السلام والأمن والإيمان، ثم نهذب من هم حولنا، وذلك بواسطة أقوالنا وأفعالنا اليومية، فعار علينا أن نأمر بفعل ولا نفعله، كما يقول الشاعر:

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ المُعَلِّمُ غَيْرَهُ ... هَلَّا لِنَفْسِكَ كَانَ ذَا التَّعْلِيمُ

نحن لا نملك عصا موسى ولا خاتم سليمان -عليهما السلام- حتى نُغيّر معتقدات الناس وأفكارهم، وإنما نملك ما ملكه سيدنا وقدوتنا ابن الخطاب رضي الله عنه، وهو العدل الذي به غيّر الأمة ومصّر الأمصار وفتح المدن، فمتى كنا عادلين في تعاملنا مع أنفسنا ومع غيرنا استطعنا التأثير فيهم وتغييرهم من الأسوأ إلى الأفضل بإذن الله.

دوري ودوركم أيّها السادة: أن نفرّق بين الحق والباطل، ونتّبع الحق أينما كان فهذا هو أساس العدل ورأسه، ولا ينتهي دورنا عند هذا الحد، فكما أن الله منّ علينا بالهداية والبصيرة، لابد أن نشكره على هذه النعم وننشرها بين الناس حتى يهتدي ويبصر من كان في ظلمات البر والبحر.

ونسأل الله أن يُسخرنا لخدمة دينه وأن يجعلنا سببًا في هداية خلقه، يقول جل وعلا في محكم التنزيل: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (٦)}.

إن العزة التي عُرف بها الفاروق لم تأتِ عبثًا، بل هي نُصرة وتأييد من الله لدينه، وجسّد لنا ذلك عندما قال: «نحن قوم أعزنا الله بالإسلام فمتى ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله»، فمتى اتبعنا الحق سيمدُّنا الله بالعزة، ومتى أصابنا الوهن والعجز سيخذلنا الله ويذلنا، ويستبدلنا بقومٍ آخرين.

أرجو أن تكون من العادلين والمفرّقين بين الحق والباطل، وأرجو أن تكون من دُعاة الله؛ الذين يُحبون الخير لإخوانهم مثلما يحبونه لأنفسهم، كما أرجو أن تستعيد الأمة عزَّها ومجدها على يدك عزيزي الفاضل.

ذو النورين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

يقول صلى الله عليه وسلم: «أَلَا أَسْتَحِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ»

يقطر قلمي حياءً من حيائه ومهابةً من هيبته، فلا أدري من أين أبدأ حديثي عن شخصيةٍ كبيرٌ مقامها، عزيزٌ جنابها،

رفيعٌ شأنها.

من حياته -رضي الله عنه- لم يَزْنِ في جاهليةٍ أو إسلامٍ قط، ولم تلمس يُمناه الطّاهرة فرجه منذ أن بايع النبي صلى الله عليه وسلم.

أسلم على يد أبي بكر الصدّيق عندما جاءه مناديًا بالحق، فلم يتردّدْ أو يتوانَ، بل صدع وأذعن لأمر ربه عزَّ وجل، وكان من السابقين الأوائل لهذا الدين، فهو رابع المسلمين من الرجال، وثالث الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشرين بالجنة رضوان الله عليهم، وكاتب من كتبة الوحي.

لُقّب بـ(ذي النورين)؛ لأنه تزوج ابنتي الرسول -صلى الله عليه وسلم- رقيّة، وبعد وفاتها زوّجَه الرسول -صلى الله عليه وسلم- أختها أم كلثوم رضي الله عنهما، فنال بذلك الشرف العظيم الذي لم ينله أحدٌ في العالمين سواه رضي الله عنه، وهاجر بزوجته رقيّة الهجرتين (الحبشة والمدينة) فكانا أوّل المهاجرين رضي الله عنهما.

كان عثمان بن عفان -رضي الله عنه- تاجرًا، ميسور الحال، يبذل بسخاء، ويعطي عطاء من لا يخشى الفقر، ونحسبه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «نِعْمَ المالُ الصَّالحُ للمَرءِ الصَّالحِ».

هيّأ الله على يده عتاد المسلمين عندما جهّز جيش العُسرة في معركة تبوك، ففرح النبي -صلى الله عليه وسلم- وقال: «ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم» لأنه كان سببًا في رفعة الإسلام والمسلمين.

بفضل الله ثم بفضله -رضي الله عنه- تمّت توسعة المسجد الحرام والمسجد النبوي، نظرًا لتزايد أعداد المسلمين، وأزيدك من الشعر بيتًا هو من اشترى (بئر رومة) وجعل دلوه مع دلاء المسلمين؛ وقفًا لله تعالى وصدقة جارية إلى يوم الدين.

ومن بركة هذه البئر أنّها إلى يومنا هذا يُنْفَق منها على الفقراء والمساكين والمحتاجين، فجزى الله ابن عفان خير الجزاء وسقاه شربةً من حوض نبيه -صلى الله عليه وسلم- لا يظمأ بعدها أبدًا.

من مناقبه ومآثره رضي الله عنه، أنّه يعتق في كل جمعة رقبة لوجه الله، فإن لم يجد أجّلها للجمعة التي تليها، لا تستغرب ولا تندهش من بذله وعطائه فهو من تلاميذ المدرسة المحمديّة.

اجتهد -رضي الله عنه- وجمع المصحف الشريف على لهجة واحدة وهي لجهة قريش التي نزل بها، وذلك عندما تعددت واختلفت القراءات في الأمصار وأصبح كل بلد يقرأ بلهجة، فخشي الاختلاف بين المسلمين وخاف عليهم من الفتنة التي ستنتج من جرّاء هذه المعضلة.

أدرك هذه الاختلافات حذيفة بن اليمان، فأسرع إلى عثمان بن عفان يُخبره بالأمر، فما لبث ذو النورين إلّا وحسم الأمر بقراره الذي يدل على فطنته ودهائه، لم يكتفِ -رضوان الله عليه- بجمْع المصحف على لهجةٍ واحدة، بل أمر وأرسل فيمن حوله يُبلّغهم بحرق ما لديهم من صُحف؛ رهبة الافتراق والانقسام ورغبة الاجتماع والالتحام.

ثم عاد فأرسل لكل قطر من الأقطار مصحفًا موحدًا يجمعهم على حرفٍ واحد، وبذلك وحّد صف المسلمين

قبل أن يتنازعوا فتنشقّ عصاهم وتذهب ريحهم، كما قال جل جلاله: {وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (46)}.

أُنشئ في عهده أول أسطول بحري لتأمين وحماية شواطئ المسلمين من الهجمات البيزنطية، فهذه سابقة -أول من أتى بها- تضاف إلى أمجاده رضي الله عنه، وجميع ما ذكرته من مواقف وإنجازات ما هي إلّا قطرةٌ من بحر، وغيضٌ من فيض عطائه وسيرته المشرقة.

استُشهِد -رضي الله عنه- في منزله، عندما اقتحم الطُّغاة الغُلاة عقر داره وقتلوه صائمًا يقرأ القرآن، قتلوه عدوانًا وظلمًا، قتلوا خليفة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأمير المؤمنين، قتلوا الصوّام القوّام الذي يختم القرآن في قيامه، تقول زوجته: «اقتلوه أو دعوه، فو الله لقد كان يحيي الليل بالقرآن في ركعة»، وبمقتله فُتح باب الفتنة على المسلمين ولم يغلق إلى يومنا هذا.

لم تنتهِ سيرة أبي عبد الله، بل ظلت خالدةً تالدةً لا يشوبها شكٌّ أو ريبة، ولنا فيه قدوة حسنة، ومورد عذب صافٍ ننهل

منه، هؤلاء هم العظماء الذين يفخر بهم التاريخ، ويذكرهم أبد الآبدين.

قرأنا إنجازاته التي شحذت هممنا وأشعلت حماسنا وأوقدت شغفنا، ونحن قادرون على أن نصنع صنيعه -رضي الله عنه- ونحقق للأمة مبتغاها ونلبّي نداها، من خلال سدّ الثغرات والقيام بالواجبات وترك المحرمات والابتعاد عن الشبهات، انهضوا يا خير أمّةٍ أُخرجت للناس وابذلوا الغالي والنفيس لربكم ورسولكم ودينكم، فقد قال الشاعر:

ولم أجِد الإنسانَ إلا ابن سعيِه
فمن كان أسعَى كان بالمجدِ أجدرا
وبالهمةِ العلياءِ يرقَى إلى العُلا
فمن كان أرقَى هِمَّةً كان أظهرا

لا شيء يمنعنا من تحقيق أهدافنا، وإنجاز مهامنا، كل ما علينا هو معرفة ذواتنا واكتشاف أنفسنا، وتسخير طاقاتنا في المكان الصحيح والعمل بجد وإخلاص، حتّى نضيف أمجادًا إلى أمجادنا، ونُخبر العالم من هم أبناء وأحفاد

الصحابة.

عزيزي القارئ: كما أن عثمان -رضي الله عنه- كريمًا سخيًّا جوادًا منفقًا سبّاقًا للخير، سنقتدي به ونفعل فعله، فما رأيك؟ أن نتعاهد جزءًا من دخلنا، ونجعله وقفًا عن أمّة محمد، يساهم في بنائها ورُقيّها وتقدّمها، ويكون صدقةً جاريةً لنا في الدارين، ننال بها الرضى والنعيم ونتّقي بها السُّخط والجحيم.

يقول صلى الله عليه وسلم: «الْحَيَاءُ لَا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ»، فالحياء خصلة محمودة حثّنا عليها ديننا الحنيف، ومتى كان الحياء خُلقًا من أخلاقك نلت به المعالي التي نالها عثمان بن عفان رضي الله عنه؛ لأن الحياء يدفعك لكل فضيلة ويبعدك عن كل رذيلة، ويحول بين النفس وشهواتها، ويكبح جماح أهوائها.

قيمة المرء بما يملكه من قيمٍ ومبادئ، تحثه على الخير وتنهاه عن الشر، ورأس هذه القيم والمبادئ يكمن في الحياء والعطاء.

أبو تراب رضي الله عنه

عندما تحالفت قريشٌ وقبائلُ العرب لكي يقتلوا الرسول -صلى الله عليه وسلم- بضربة رجلٍ واحد فيضيع ويتفرّق دمُه بين القبائل، تصدّر الموقفَ وبادر بروحه ونفسه، فبات على فراش الرسول -صلى الله عليه وسلم-

مُتسجّيـًا ببردة الحضرمي الأخضر، فداءً له، وهذه الليلة تُعرف بليلة المبيت، ومنها -تحديدًا- تجلّت شجاعته رضي الله عنه.

أشرفُ النَّاسِ نسبًا وحسبًا، فهو أول هاشمي من أبوين هاشميين، ابن عم الرسول -صلى الله عليه وسلم- وصهره، تزوّج ابنته (البتول) فاطمة الزهراء -رضي الله عنها- وأنجب منها الحسن والحسين (السبطين)؛ سيدي شباب أهل الجنة رضي الله عنهما.

تربّى في كنف النبي -صلى الله عليه وسلم- وظل تحت رعايته، بعد أن استأذن الرسول عمَّه أبا طالب فأخذه حتّى يخفف عنه العبء، لشدّة فاقته وكثرة أبنائه، فنهل من معين النبي -صلى الله عليه وسلم- وكان أول من أسلم من الصبيان.

علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- رابع الخلفاء الراشدين وآخرهم، يُضرب به المَثل في الشجاعة والإقدام، وروي أن النبي -صلى الله عليه وسلم- أهداه سيفًا يُعرف بـ(ذي الفقار) ودرعًا تُعرف بـ(الحُطَمِيَّةُ).

ظهرت شجاعته -رضي الله عنه- في مواطن عدّة؛ أبرزها مبارزته مع الفارس عمرو بن ود العامري، وقد أجهز عليه وتركه مُجندلًا في دمائه.

عُرف أبو الحسن بطلًا مغوارًا، وفارسًا مقدامًا، وليثًا هصورًا لا يهاب ساحات الوغى، يَشهد له ما فعله بفارس اليهود مرحب القائل:

قد علمت خيبر أني مرحب
شاكي السلاح بطل مجرب

فرد عليه أبو الحسن قائلًا:

أنا الذي سمتني أمي حيدره
ضرغام آجام وليث قسوره

وضربه بالسيف -رضي الله عنه- حتى فلق رأسه، فخرّ صريعًا من أثر الضربة، وفُتحت على يده خيبر مصداقًا لحديث النبي صلى الله عليه وسلم: «لأعطين الراية غدًا رجلًا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، يفتح الله على يديه...».

شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم،

وحمل الراية في كثيرٍ منها، عدا غزوة تبوك؛ لأن النبيَّ -صلى الله عليه وسلم- خلّفه على المدينة المنورة.

وهنا سطعت لنا منزلته ومكانته -رضي الله عنه- عندما قال له النبي صلى الله عليه وسلم: «أَنْتَ مِنِّي بمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِن مُوسَى، إِلَّا أَنَّهُ لا نَبِيَّ بَعْدِي»، فأي فضل بعد هذا الفضل وأيّ منزلة بعد هذه المنزلة.

من شمائله -رضي الله عنه- أنه عابدٌ زاهدٌ، راجح العقل، مسدد الرأي، على يده كُتبت وثيقة صلح الحديبية، وهو الذي أشار على أبي الأسود الدؤلي بوضع علم النحو.

كان علي بن أبي طالب -رضي الله عنه وأرضاه- عالمًا وفقيهًا، لا يتجاوز حدود الله ولا ينتهك محارمه، ولا يقدّم العقل على النقل بل ظل مستمسكًا بكتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام، وحباه الله من البلاغة، والفصاحة، والبيان ما جعله خطيبًا مفوّهًا، وشاعرًا مفلقًا.

أحبّ ألقابه إليه (أبو تراب)، لأن النبي -صلى الله عليه وسلم- هو الذي لقّبه به، وذلك عندما ذهب إلى بيته فلم يجده، فسأل ابنته فاطمة عن ابن عمها (علي بن أبي

طالب) فأخبرته بأنه غاضبها وخرج، فأرسل النبي عليه السلام من يبحث عنه.

وعندما علم بمكانه وأَخبر النبي بأنه نائم في المسجد، ذهب له النبي عليه السلام ووجده راقدًا في المسجد قد اضطجع على شقّه، وقد أصابه شيءٌ من التراب، فنفض عنه التراب وهو يقول له: «قم أبا تُرابٍ، قُم أبا تُرابٍ».

اندلعت الفتنة وازدادت على الإمام علي بن أبي طالب بعد مقتل الصحابي الجليل عثمان بن عفان رضي الله عنهما، فانقسم المسلمون إلى فريقين؛ فريقٌ يُطالب بالقصاص من قتلة عثمان؛ وهم طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام، والفريق الآخر فريق علي بن أبي طالب الذي يرى تأجيل القصاص حتّى يستتب الأمر له ثم يقتص لدم عثمان.

وقد اتفق الفريقان على الصلح وعندما باتوا ليلتهم تلك بنيّة الصلح والمودة، استيقظت رؤوس الشياطين وأحزاب الفتنة، وأشعلوا النار التي كادت أن تُخمد، حتّى وقعت معركة (الجمل) واقتتل المسلمون، ثم وقعت معركة (صفّين) وعلى إثرها وقعت معركة (النهروان)

بسبب الفئة الباغية المسمّاة بالخوارج، فقاتلهم علي بن أبي طالب وانتصر عليهم رضي الله عنه.

استمر الإمام علي -رضي الله عنه- في ردع وقمع الفتن التي ماجت بالمسلمين، حتى دبّر له الفاجر عبد الرحمن بن ملجم وأشياعه خطّة اتفقوا فيها على قتله، فقام أشقى القوم ابن ملجم -كما أخبر النبي عليه السلام-، وضرب رأس الإمام علي بسيفه المسموم، وهو يوقظ الناس لصلاة الفجر، ومن شدّة الضربة استُشهد رضي الله عنه وأرضاه (فلا نامت أعين الجبناء).

يا ليتها إذ فدت عَمرًا بخارجةٍ
فدت عليًّا بمن شاءت من البشرِ

ذكرت لك هذه الأحداث حتى تعلم تضحية الصحابة في إيصال الرسالة المحمّدية، وجهدهم في دحر الفتن والفرق المارقة عن الإسلام، ولكي تعلم أننا مستهدفون في ديننا وأوطاننا وأمننا وأماننا، فلا تغفل عن واجبك لأنك على ثغرة من ثغور الإسلام فلا يُؤتَيَنّ مِنْ قِبَلِك، نسأل الله أن ينصر هذا الدين ويحفظه.

رحل أبو تراب وضربات سيفه بميادين النّزال ما زالت حيّة يتناقلها الرواة ويعتزّ بها المسلمون، تشهد عرصات الفروسية بصولاته وجولاته، وتعرف الهيجاء نقع غباره، فهو الذي يَقدم على الحرب مهرولًا رابط الجأش، من جسارته وثباته رضي الله عنه.

عندما نقرأ في سير وتراجم المؤثرين؛ أمثال الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، يثور بركان الحماسة فينا فنودّ أن نكون مثله ونفعل فعله، وهذا ليس بالأمر المستحيل أو المعجز، بإمكاننا أن نصل للقمة ونتربّع على عرشها، فالشجاع هو الذي يحمل همّ أمّته ويسعى لرفعتها حتى تكون علامة فارقة بين الأمم، وبذلك ينال أعلى المراتب وأسمى المناقب.

أعلمُ مدى حماسك وأنت تقرأ هذه الكلمات، وهذه فرصتك حتّى تثبت للأمة شجاعتك وبسالتك، وتصنع لنفسك تاريخًا ناصعًا مشرقًا، قم وامتطِ صهوة المجد لكي نفخر بصنعك، ونذكرك فنشكرك.

إذا أردت أن تكون لبِنَةً صالحةً في المجتمع، وقدوةً

يقتدي بك الأجيال، قدّم الغالي والنفيس في خدمة الدين، وازهد بكل ما يحول بينك وبين هدفك، تذكر دائمًا أنك تحمل أمانة عظيمة لابد أن تستميت في نشرها وإيصالها بحذافيرها، كما أمرنا الرسول الكريم عليه السلام: «بلغوا عنّي ولو آية».

ما أحوجنا في هذا الزمان لشجاعة علي، وقوته حتى ننكر ما نراه من فتنٍ وشُبهات ونتصدّى لها بحزمٍ وعزم، فنحن عمادُ الأمة وصمّام أمانها ونجمها الذي تهتدي به، فالقوي هو الذي يأمر الناس بالمعروف وينهاهم عن المنكر، كما قال عز وجل في محكم التنزيل: {وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (104)}.

يا من تقرأ، هل تعلم من هو الشجاع ومن هو الجبان؟ الشجاع هو الذي يرى الحق فيتّبعه مسلّمًا له من غير جدال أو قتال، أمّا الجبان فهو الذي يرى الحق واضحًا أمامه فيميل عنه، كما قال تعالى: {وَاللهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلًا

عَظِيمًا (27)}.

استفد من الثواني والدقائق والساعات، وخطط لمشروعٍ ينفعك وينفع مجتمعك، ويشارك في توعية البشر وصلاحهم دنيا ودينًا، ولا تدع الوقت يمرّ مرور الكرام من غير فائدة أو نفع، فأنت لم تُخلق عبثًا.

سترجع أمةُ محمدٍ لسابق عهدها وسيادتها، ما دمنا نملك رجالًا ونساءً هدفهم إعلاء كلمة الحق (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، وحتى نحقق هذا الهدف يجب أن نتعاون ونتلاحم ويعلم كل شخص منّا مواطن قوته، فيضع بصمته من خلالها.

سؤالي لك أيّها الباسل المغوار:

ماذا ستقدّم لأمتك ودينك ووطنك؟ ... (كن شجاعًا في جوابك) ...

القاسم المشترك

بعدما قرأت في سِير وتراجم الخلفاء الراشدين (أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب) رضي الله عنهم، وجدت أن هناك قاسمًا مشتركًا يجمعهم تحت مظلة واحدة، هو الاتباع والاقتداء بسنة الرسول عليه السلام، فهم تمثّلوا بقوله تعالى: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا (7)}.

وفي نظري أن السبب الرئيسي لهذا الاتباع والاقتداء، عِظم الرسالة، وهمّ الأمانة التي حُمّلُوها فثابروا حتى تصل لنا بحذافيرها، من غير زيادة أو نقص أو تحريف أو تكييف أو تعطيل.

إن الاتباع والاقتداء هو قوام الدين وطوق النجاة؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم بلّغ الرسالة وأدّى الأمانة فلم يدع شيئًا من أمور الدين أو الدنيا إلّا أوضحه وبيّنه. وأنذرنا نارًا وبشر جنة ... وعلمنا الإسلام فالله نحمد

أخي وأختي الكريمين: علينا أن نتَّبع سنة رسول الأمة ونقتدي به، كما فعل الخلفاء الراشدون -رضوان الله عليهم- فهو السبيل الذي نعانق به هام الجوزاء، يقول تبارك وتعالى: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا (21)}.

إذا تاهت بك الدروب، ولم تجد من يُعينك على مشوار الحياة، فعليك بسنة الرسول صلى الله عليه وسلم، تنهل منها حتى يرتوي ظمؤك فهي النهر الذي لا ينضب.

وإن نحن أضللنا الطريق ولم نجد
دليلًا، كفانا نور وجهك هاديا

لا تقف مكتوف اليدين، ولا تقبل أن تعيش على هامش الحياة، انهض وسارع فالقمة مكانك.

خذ عدّتك من الكتاب والسنة فهي خير سلاحٍ يتسلّح به المرء، ويأمن به من الفتن والشبهات، وهذا توجيه الرسول عليه السلام لنا: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ».

الأَولى أن نبدأ بأنفسنا فنتبع هديَه صلوات الله عليه، ونقتدي بحركاته وسكناته، ثم ندعو الناس للاتباع والاقتداء، بذلك نكون نموذجًا حيًّا وقدوةً حسنةً.

إن أردت أن يكون لك شأن في الحياة، كشأن الخلفاء الراشدين -رضي الله عنهم- فانهجْ نهجهم، وخذْ بهديهم، وسِرْ على دربهم، فالطريق الذي سلكوه واضح كشمس النهار لا يزيغ عنه غير غافل -يعلم الحق ولا يعمل به-.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

دُهاةُ العرب

أخرج ابن عساكر عن الشعبي قال: «دُهاة العرب أربعة: معاوية بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص، والمُغيرة بن شعبة، وزياد بن أبيه، فأما معاوية فللحِلم والأناة، وأما عمرو فللمُعضلات، وأما المغيرة فللمبادهة، وأما زياد فللصغير والكبير».

أرطبون العرب

تجارتُه قبل الإسلام صنعت منه رجلًا مُحنكًا حصيفًا، وأكسبته الخبرة والفَراسَة، وجعلته يتعرّف على معادن الرجال حتّى أصبح مفاوضًا ماهرًا وداهيةً من الطراز الأول.

تجارتُه قبل الإسلام صنعت منه رجلًا مُحنكًا حصيفًا، وأكسبته الخبرة والفَراسَة، وجعلته يتعرّف على معادن الرجال حتّى أصبح مفاوضًا ماهرًا وداهيةً من الطراز الأول.

ولقُربه من النجاشي (ملك الحبشة) وحب النجاشي له، انتدبته قريش سفيرًا لمُهمتها، حتى يسترد المسلمين المهاجرين -من مكة إلى الحبشة-، ولكنه عاد خائبًا خالي الوفاض بعدما باءت محاولاته بالفشل الذريع.

خاض عمرو بن العاص العديد من المعارك ضدَّ المسلمين، وناصبَهم العداء؛ سرًّا وجهرًا، خفاءً وعلانيةً، وحارب الدعوة المُحمدية بكل ما أوتي من قوة، وعندما أراد الله هدايته أيقن الحق وعَدَل عمّا كان فيه، وتحوّل من مُبغضٍ كارهٍ للإسلام إلى محبٍّ وداعٍ له.

تأخر إسلامه -رضي الله عنه- ومع ذلك لم ييأس أو يقنط من رحمة الله، بل بادر مولّيًا وجهه شطر رسول الله عليه السلام معلنًا إسلامه، حينها تهلل وجه الرسول وفرح بقدومه واستبشر بتوبته.

وبسط الرسول -صلى الله عليه وسلم- يمينه ليبايعه عمرو،

فقبض عمرو يده قبل أن تصافح يد رسول الله، فقال صلى الله عليه وسلم: مَا لَكَ يَا عَمْرُو؟

قال: أردتُ أنْ أشترطَ، فقال صلى الله عليه وسلم، تَشْتَرِطُ بِمَاذَا؟ قال: أنْ يغفر الله لِي ما تقدّم من ذنبي، فقال صلى الله عليه وسلم: ابسط يدك يا عمرو أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الإِسلامَ يهدمُ ما كان قبله؟ وأنَّ الهجرةَ تهدمُ ما كانَ قبلها؟ وأنَّ الحجَّ يهدمُ ما كانَ قبلهُ؟، وهذه القصة تدل على دهائه رضي الله عنه.

يدرك النبي عليه السلام دهاء وذكاء ابن العاص وخبرته السياسية، وحنكته في تدبير الأمور وتخطيط الخطط، فكان يقرّبه ويستشيره ويأخذ برأيه.

جعله النبي عليه السلام قائدًا على سَرِية ذات السلاسل؛ ليفرّق جموع قضاعة عندما أرادوا مهاجمة المسلمين والقضاء عليهم في المدينة، فعاد منتصرًا كما توقّع النبي عليه السلام.

وشارك -رضي الله عنه- في فتوحات الشام، وكان سببًا في فتح عمان، وهو الذي هدم صنم سواع (صنم لقبيلة هذيل) بأمر النبي عليه الصلاة والسلام.

فمثلما كان داهيةً وذا شأن في جاهليته وكفره، كذلك هو بعد إسلامه رضي الله عنه، ولا غرو فيما قاله رسول الله عليه الصلاة والسلام: «أسلم الناسُ وآمن عمرُو بنُ العاصِ».

كان يحبّه ويجلّه الفاروق عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- ويعترف بفضله ومنزلته، وزاد إجلاله له بعد البلاء الذي حلّ بالمسلمين عام الرمادة (طاعون عمواس) فهو الذي أشار على عمر برأيه السديد، وبفضل الله ثم فضله انقشع البلاء عن الأمة وعادت المياه إلى مجاريها.

ومما روي عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أنه رآه ذات يوم مقبلًا، فابتسم لمشيته وقال: «ما ينبغي لأبي عبد الله أن يمشي على الأرض إلّا أميرًا».

من مناقبه التي لا ينساها التاريخ، إصراره -رضي الله عنه- على فتح مصر، وظل يُلحّ على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب حتى وافقه وأمّره على الجيش، فكان النصر والفتح الإسلامي العظيم لمصر على يد عمرو بن العاص، وأسس فيها مدينة الفُسطاط، وبنى أول مسجد يرفع الأذان في مصر ويصدح بـ(لا إله إلا الله محمد رسول الله)، وقد

نصره الله نصرًا مؤزرًا على الروم.

في هذا الفتح (فتح مصر) برز أحد مؤشرات نبوغه وفطنته، وذلك عندما أتاه رسول أمير المؤمنين يحمل إليه كتابًا (يأمره بالرجوع إذا وصله الكتاب قبل أن يدخل مصر)، ففطن وأجّل استلام كتاب الرسول إلى أن دخل قرية (العريش) -من قرى مصر- عندها جاء بالرسول وقرأ الكتاب على المسلمين.

فقال عمرو لمن معه: «ألستم تعلمون أن هذه القرية من مصر»، قالوا: «بلا»، فقال: «إن أمير المؤمنين عهد إليّ وأمرني إن لحقني كتابه ولم أدخل مصر أن أرجع، ولم يلحقني كتابه حتى دخلنا أرض مصر فسيروا على بركة الله».

من فطنته ونبوغه -رضي الله عنه- آثر ألا يفتح الرسالة حتى يدخل أرض مصر، فلو فتحها قبل أن يدخل مصر لرجع أدراجه، مثلما أمره عمر بن الخطاب أمير المؤمنين.

لا يدخل أبو عبد الله في معضلةٍ إلا وخرج منها ظافرًا منتصرًا، ومن المواقف التي تدل على عبقريته وبراعته -رضي الله عنه- قصته مع هرقل -إمبراطور الروم-.

ظل عمرو يتربص بـ(الأرطبون هرقل) زمنًا، وكان يرسل إليه الرسل ليعرف أمره فلا تشفيه الرسل، فقرر أن يلقاه بنفسه مُدَّعيًا أنه رسول عمرو بن العاص إليه.

دخل عليه وأبلغه ما يريد، وسمع كلامه وتأمل حضرته، وقال الأرطبون في نفسه: «والله إن هذا لعمرو أو إنه الذي يأخذ عمرو برأيه» فقرر قتله، وأحسّ عمرو بذلك فقال للأرطبون: «أيها الأمير إني قد سمعت كلامك وسمعت كلامي، وإني واحد من عشرة بعثنا عمر بن الخطاب لنكون مع هذا الوالي ونشهد أموره، وقد أحببت أن آتيك بهم ليسمعوا كلامك ويروا ما رأيت».

فطمع الأرطبون في قتلهم جميعًا، وقال له: «نعم، اذهب فأتني بهم»، فخرج عمرو بن العاص سالمًا غانمًا وعاد إلى جيشه.

وعندما علم الأرطبون بأن الرسول كان عمرو، قال: «خدعني الرجل، هذا والله أدهى العرب».

وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: «لقد رمينا أرطبون الروم بأرطبون العرب».

وُصف بالجرأة والمغامرة والمخاطرة، وذلك يظهر في مقالته لأبي بكر الصديق -رضي الله عنه-: «إني سهم من سهام الإسلام، وأنت بعد الله الرامي بها والجامع لها، فانظر أشدها وأخشاها وأفضلها فارمِ به شيئًا إن جاءك من ناحية من النواحي». رضي الله عن داهية العرب عمرو بن العاص الذي جعل نفسه سهمًا من سهوم الإسلام.

وعُرف بالفصاحة والبلاغة، فقد كان خطيبا فذًّا، وكان عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- إذا كلّمه رجل فلم يفهم كلامه قال: «سبحان من خلقك وخلق عمرو بن العاص».

وامتاز -رضي الله عنه- بدقة الوصف، ومن ذلك وصفه للموت عندما سأله ابنه عمر وهو على فراش الموت قائلًا: «يا أبتاه صف لنا الموت».

فقال رضي الله عنه: «يا بُني، الموت أعظم من أن يوصف، لكأن على كتفي جبل رضوى، وكأن في جوفي شوكة عوسج، وكأن روحي تخرج من ثقب إبرة، وكأن السماء أطبقت على الأرض وأنا بينهما».. فانظر وتأمل في دقة الوصف بل واستعدَّ لمثل هذا اليوم.

فـارق أرطـبـون العرب الحياة، وأمـجـاده حيّة تتغنى بها صفحات التاريخ، وتنتشي بعبقها الأجيال، هذا تاريخنا وهؤلاء عظماؤنا فجيئوا لنا بمثلهم إذا جمعتنا المجامع.

إذا استخدمنا عقولنا كما ينبغي وفكّرنا بدهاء عمرو، سنصل إلى مرادنا ونسمو بأمتنا ونجعل رايتها ترفرف بشموخ وأنفة.

ليس كل شيء بالقوة والسلاح والـدمـار، وإنما بالعقل نحقق ما نصبو إليه وإن طال الزمان، لا خير في قوة دون عقل وذكاء، نحتاج في وقتنا الراهن إلى تطبيق سياسة داهية العرب بدلًا من القوة والسلاح الغاشم.

اعلم أنك تملك من الدهاء والذكاء ما ينفع المسلمين ويشفي غليل العروبة، هيا نضع حدًّا للمأساة التي نعيشها وللظلم والاستبداد الذي نراه ليل نهار، هيا نصرخ في وجه المعتدي ونقطع دابره ونرجعه، رغم أنفه، ذليلًا مكسورًا مهزومًا.

نحن أحفاد العظماء نحن أحفاد الدُّهاة، ومن العار أن نرضى بحالنا وضعفنا، حان الوقت الذي نكشِّر فيه عن أنيابنا ونزأر في وجه العالم، ونعيد للأمة الإسلامية رفعتها وسيادتها.

بوسعنا إنقاذ أمة محمد من الشتات والضياع، بوسعنا جمع الأمة وتوحيد صفّها، بوسعنا دحر العدو وكسر شوكته، إننا نحظى بنماذج مشرفة فلنستمد من مِشْكاتهم ولنستفِيد من تجاربهم.

الجدير بنا أن نجمع عقولنا ونفكر جميعنا، في مستقبل الأمة والأجيال من بعدنا، ونعمل بإخلاص من أجلهم، حتى يفخروا بنا كما نفخر نحن بأسلافنا، ونترك لهم لوحة مرصّعة بالبطولات والعز والشرف والريادة والسيادة.

كلُّ شخص يتولّى أمرًا من أمور المسلمين عليه أن يسعى جاهدًا لنُصرتهم، ولو على حساب نفسه.

الدين عمادُ الدنيا والآخرة، ولو ذهب لذهبنا غثاءً أحوى، الدين يستحق أن نضحي من أجله بأغلى ما نملك.

كسرى العرب

تفرّس أبو سفيان في ابنه علامات السيادة والقيادة فقال: «إن ابني هذا لعظيم الرأس، وإنه لخليق أن يسود قومه»، فقالت أمه هند بنت عتبه: «قومه فقط؟ ثَكِلته إن لم يَسُد العرب قاطبة». وصدق حدسهما عندما تنبآ له بمستقبل حافل

وشـأن عظيم، فأصبح أول ملوك المسلمين، ومؤسس الدولة الأموية في الشام وعاصمتها دمشق.

هو سادس الخلفاء بعد أن تنازل له الحسن بن علي -رضي الله عنه- عن الخلافة، وسمي ذلك العام بعام الجماعة، لاجتماع الأمة على خليفة واحد بعد نزاعها.

معاوية بن أبي سفيان، داهية من دُهاة العرب الأربعة، ذاع صيته وساس الناس بدهائه وحنكته.

يسبق حِلمه غضبه، وأَنَاته عجلته، وهذا ما جعله محبوبًا عند رعيته، وأدام حكمه أربعين عامًا بلا منازع (عشرين أميرًا ومثلها خليفة للمسلمين).

سأله أعرابي: «كيف حكمت الشام أربعين سنة ولم تحدث فتنة والدنيا تغلى؟»، فأجابه: «إني لا أضع سيفي حيث يكفيني سوطي، ولا أضع سوطي حيث يكفيني لساني، ولو أن بيني وبين الناس شعرةً ما انقطعت، كانوا إذا مدّوها أرخيتها، وإذا أرخوها مددتها»، فهذه سياسته المعروفة بـ(شعرة معاوية).

شهد من رآه أو سمع به على حُسن إمارته وإدارته وتدبيره

للأمور، كما يُحسن اختيار حاشيته بعناية حتى تُعينه على تملّك زمام الدولة والحكم، ومراعاة أحوال ومصالح الرعية.

كان عصره -رضي الله عنه- حافلًا بالإنجازات، مليئًا بالانتصارات، فهو أول من أسس نظام البريد وأولاه مزيد عناية، وأول من ركب البحر غازيًا في سبيل الله؛ ففتح قبرص والجزر المجاورة، وخلّص المسلمين من خطر الروم المحدق بهم، إنه (كسرى العرب) كما وصفه عمر بن الخطاب رضي الله عنهما.

يُلقّب بخال المؤمنين؛ لأن النبي -صلى الله عليه وسلم- صاهره بزواجه من أخته (أم حبيبة) رضي الله عنها، فأصبحت أم المؤمنين وهو خال المؤمنين، فنعم الخال معاوية.

دعا له الرسول صلوات الله عليه: «اللهم اجعله هاديًا مهديًّا واهدِ به»، فكان من كتبة الوحي ورواة الأحاديث.

ومن المواقف والقصص التي تدل على دهاء عقله وحنكته، أنه صعد -رضي الله عنه- المنبر يوم الجمعة، فتذكر أنه

ليس على وضوء فاحتار في أمره! أينزل عن المنبر وتكون فضيحة له أمام الناس؟، أم يكتم خبره ويحفظ ماء وجهه ولكن يسخط الله عليه.

هنا أسعفه دهاؤه -رضي الله عنه- فصاح قائلًا: «يا غلام ائتني بوَضوء، لكي أعلّم الناس كيف كان يتوضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم» وخرج من المأزق كما تخرج الشعرة من العجين.

ومن القصص التي تدل على حلمه -رضي الله عنه-، أنه كان لعبد الله بن الزبير مزرعة في المدينة مجاورة لمزرعة يملكها معاوية بن أبي سفيان خليفة المسلمين رضي الله عنهما، وفي ذات يوم دخل عمّال معاوية إلى مزرعة ابن الزبير، وقد تكرر منهم ذلك في أيام سابقة.

فغضب ابن الزبير وكتب لمعاوية في دمشق، قائلًا في كتابه: «من عبد الله بن الزبير إلى معاوية -ابن هند آكلة الأكباد-، أما بعد.. فإن عمّالك دخلوا إلى مزرعتي فمُرْهم بالخروج منها، أو ليكونن لي معك شأن»، وصلت الرسالة لمعاوية وكان من أحلم الناس.

فقرأها ثم قال لابنه يزيد: «ما رأيك في ابن الزبير، أرسل إليّ يهددني» فقال له ابنه يزيد: «أرسل له جيشًا أوله عنده وآخره عندك يأتِك برأسه» فقال له معاوية: «بل خير من ذلك».

فكتب رسالة إلى عبد الله بن الزبير يقول فيها: «من معاوية بن أبي سفيان إلى عبد الله بن الزبير -ابن أسماء ذات النطاقين-، أما بعد.. فو الله لو كانت الدنيا بيني وبينك لسلمتها إليك، ولو كانت مزرعتي من المدينة إلى دمشق لدفعتها إليك، فإذا وصلك كتابي هذا فخذ مزرعتي إلى مزرعتك وعمّالي إلى عمالك، فإن جنة الله عرضها السماوات والأرض».

ولما قرأ ابن الزبير الرسالة بكى حتى ابتلّت لحيته، وسافر إلى معاوية في دمشق وقبّل رأسه، وقال: «لا أعدمك الله حلمًا أحلّك في قريش هذا المحل»، فهذا برهان واضح ودليل قاطع على أن الحلم يُنزل صاحبه أعلى المنازل.

قال بعضهم: «علمت بما كان معاوية يغلب الناس، كان إذا طاروا وقع، وإذا وقعوا طار».

أدرك معاوية بن أبي سفيان دنوّ أجله، فعهد بالخلافة لابنه

يزيد من بعده، وقد ضرب له مثلًا في كيفية التعامل والسياسة برسالته لابن العوام، وبذلك انتقل نظام الخلافة أو الحكم من مبدأ الشورى إلى الوراثة.

سلّم معاوية روحه للبارئ، وترك خلفه مثالًا يحتذى به في الحلم والدهاء، فرضي الله عنه ما تعاقب الليل والنهار.

بعدما قرأنا مقتطفات من سيرته الخلّابة، أما آن لنا أن نحلم ونرفق ببعضنا البعض، ونلتمس لبعضنا الأعذار ونكون كالبنيان المرصوص والجسد الواحد، أما آن أن نكسر شوكة الأعداء بتلاحمنا وتكاتفنا.

لا تجعل الغضب والعجلة تحولان بينك وبين أهدافك، بالحلم والأناة تصل لما تريد وتدرك غايتك، ولنا في مواقف وقصص معاوية أسوة حسنة.

الدهاء الذي اتصف به خال المؤمنين يعود لنظرته البعيدة التي تجوب به الآفاق، وحريٌّ بنا أن نكون مثله بعيدي النظر، لا نأخذ الأمور بظواهرها، بل ننظر لها من عدّة جوانب، حتى تتضح لنا المعالم والرؤية، فنتخذ القرار الصحيح السليم.

الذكاء والدهاء سيف ذو حدين، متى استُخدم في الباطل كان وَبالًا على صاحبه، ومتى استُخدم في الحق كان زُلالًا عليه.

الأمة الإسلامية والعربية في حاجة إلى رجال بحلم ودهاء معاوية، يدبّرون أمورها ويخططون لسيادتها ويسعون لاسترداد مجدها التليد، ونحن قادرون على ذلك، بهمة الأبطال وعزم الجبال.

أشعل فتيل أفكارك وخطط لمستقبل أمّتك ووطنك بحلم ودهاء، فمتى تضافرت الجهود ووحدت الصفوف واجتمعت الكلمة، فالنصر حليفنا بإذن الله.

مغيرة الرأي

يقول: كنا متمسكين بديننا ونحن سَدَنَة اللات، فأراني لو رأيت قومنا قد أسلموا ما تبعتهم، فأجمع نفر من بني مالك الوفود على المقوقس (حاكم مصر) وإهـداء هدايا له، فأجمعت الخروج معهم، فاستشرت عمي عروة بن مسعود،

فنهاني، وقال: ليس معك من بني أبيك أحد.

فأبيت، وسرت معهم، حتى دخلنا الإسكندرية، فإذا المقوقس في مجلس مطل على البحر، فركبت زورقًا حتى حاذيت مجلسه فأنكرني، وأمر من يسألني، فأخبرته بأمرنا وقدومنا، فأمر أن ننزل في الكنيسة، وأجرى علينا ضيافة، ثم أُدخلنا عليه، فنظر إلى رأس بني مالك فأدناه وأكرمه، ثم سأله: أكلكم من بني مالك؟

قال: نعم، سوى رجل واحد، فعرَّفه بي فكنت أهون القوم عليه، وسُرَّ بهداياهم، وأعطاهم الجوائز، وأعطاني شيئًا لا ذكر له، وخرجنا، فأقبلت بنو مالك يشترون هدايا لأهلهم، ولم يعرض عليَّ أحد منهم مواساة، وخرجوا وحملوا معهم الخمر، فكنا نشرب.

فأجمعت على قتلهم، فتمارضت وعصبت رأسي، فوضعوا شرابهم، فقلت: رأسي يُصدع ولكني أسقيكم، فلم ينكروا، فجعلت أصرف وأترع لهم الكأس، فيشربون ولا يدرون، حتى ناموا سكرًا، فوثبت وقتلتهم جميعًا، وأخذت ما معهم.

فقدمت على النبي صلى الله عليه وسلم فوجدته جالسًا في

المسجد مع أصحابه، وعليَّ ثياب سفري، فسلمت، فعرفني أبو بكر رضي الله عنه، فقال النبي عليه السلام: «الحمد لله الذي هداك للإسلام» قال أبو بكر: أمن مصر أقبلتم؟ قلت: نعم. قال: ما فعل المالكيون؟ قلت: قتلتهم، وأخذت أسلابهم، وجئت بها إلى رسول الله ليخمسها.

فقال النبي عليه السلام: «أما إسلامك فنقبله، ولا آخذ من أموالهم شيئًا؛ لأن هذا غدر، ولا خير في الغدر» فأخذني ما قَرُب وما بعُد، وقلت: إنما قتلتهم وأنا على دين قومي، ثم أسلمت الساعة فقال عليه السلام: «إن الإسلام يجُبُّ ما كان قبله».

هذه قصة إسلام الصحابي الجليل المغيرة بن شعبة الثقفي رضي الله عنه.

حسن إسلام المغيرة، وكان شديد الحرص على رسول الله، فحينًا يحرسه وحينًا يقوم على وضوئه.

ومن القصص التي تدل على حبّه لرسول الله ما رواه عن نفسه: «بعثت قريش عام الحديبية عروة بن مسعود إلى رسول الله ليكلمه، فأتاه فكلمه وجعل يمس لحيته، وأنا قائم

على رأس رسول الله، مُقَنَّعٌ في الحديد.

فقال المغيرة لعروة: كُفَّ يدك قبل ألا تصلَ إليك. فقال: من ذا يا محمد؟ ما أفظه وأغلظه!! قال: (ابن أخيك). فقال: يا غُدَر، والله ما غسلت عني سَوْءَتَك إلا بالأمس».

بعثه رسول الله برفقة أبي سفيان ليهدما صنم اللات (صنم كانت تعبده ثقيف) ففعلا ما أمرهما به الرسول صلى الله عليه وسلم.

شهد -رضي الله عنه- بيعة الرضوان، ومعركة اليمامة، وفتوح الشام والعراق، وشهد معركتي اليرموك والقادسية، ومن مآثره التي تُذكر عنه قتاله ومناجزته للخوارج.

روي أنه كان مزواجًا مطلاقًا، ومن قصصه الطريفة اللطيفة، أنه أُصيب في إحدى المعارك، فجاءوا له بامرأة لكي تخيّط وتضمد جراحه فنظر إليها وقال: «ألكِ من زوج؟» فقالت: «أما يشغلك ما أنت فيه!!».

اشتُهر ابن شعبة بدهائه وحيلته، فلم يَشْتَجِر في صدره أمران إلّا وجد في أحدهما مخرجًا، حدّث عنه بعض أصحابه قائلًا: «صحبت المغيرة، فلو أن مدينة لها ثمانية أبواب لا

يخرج من باب منها إلا بمكر، لخرج من أبوابها كلها».

أرسله سعد بن أبي وقاص لمقابلة رستم (القائد الأعلى للجيش الفارسي)، وذلك بعدما أرسل رستم طالبًا مفاوضة المسلمين، وعندما طال الحوار بينهما أيقن رستم قوة المسلمين واتحاد كلمتهم ووحدة صفهم، لكنه أصرّ على القتال والحرب عتوًّا واستكبارًا، فهُزم هو وجيشه شر هزيمة، وانتصر المسلمون انتصارًا ساحقًا.

وله في هذه الحادثة مقولة شهيرة تدلّ على شجاعته رضي الله عنه: «إن عيالنا قد ذاقوا طعام بلادكم، فقالوا: لا صبر لنا عنه» فقال رستم: «إذًا تموتون دونه» فقال: «يدخل من قتل منّا الجنة، ومن قتل منكم النار، ويظفر من بقي منّا بمن بقي منكم».. حُقّ لنا -معشر المسلمين- أن نفخر ونعتز بأبطالنا وفرساننا الأباة الكُماة.

تولّى (مغيرة الرأي) إماراتٍ عدّة؛ منها البصرة والكوفة والبحرين (الأحساء في ذلك الوقت)، وله قصة عجيبة مع أهل البحرين تجلّى فيها دهاؤه، وذلك عندما استعمله عمر بن الخطاب على البحرين، فكرهه أهلها، ثم عزله عمر عن

الإمارة فكره أهلها أن يعود إليهم، ودبروا له مكيدة حتى يوقعوا به.

أتى الدهقان (رئيس القوم) إلى عمر مفتريًا على المغيرة بأنه سرق مئة ألف من بيت مال المسلمين، وأودعها عنده، فدعا عمر المغيرة وسأله عن حقيقة الأمر، فأجاب المغيرة بدهاء وفطنة لا نظير لهما «نعم يا أمير المؤمنين».

فقال عمر: «وما حملك على ذلك؟» فقال المغيرة: «الحاجة والعيال، ولكنني أعطيته مئتي ألف» فقال عمر للدهقان: «ما تقول؟!» فقال الدهقان بعد أن دُهش وبُهت: «لا والله لأصدقنّك، ما دفع إليَّ قليلًا ولا كثيرًا» فقال عمر للمغيرة رضي الله عنهما: «ما أردت إلى هذا» فأجابه المغيرة: «الخبيث كذب عليَّ، فأحببت أن أخزيه».

نِعم الدهاء الذي ينجي وينقذ صاحبه من الغرق في ظلمات الكاذبين الحاسدين الحاقدين.

اللافت في سيرته -رضي الله عنه- أنه آخر الناس عهدًا بالرسول صلى الله عليه وسلم، حاز هذا الشرف السامق بدهائه وحيلته التي عمد إليها، عندما ألقى بخاتمه في قبر

الرسول صلوات الله عليه.

وحين خرجوا من القبر، قال: «خاتمي سقط في القبر» ونزل إلى القبر بحجة الخاتم، فمسح على كفن الرسول، فكان آخر الأمة عهدًا برسولها.. أيُّ منقبة ظفر بها المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، كيف لا نغبطه على دهائه وحسن تصرفه.

من فضائله التي نعمل ونأخذ بها إلى يومنا هذا، ما رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر، فأهويت لأنزع خُفيه، فقال: دَعْهما فإني أدخلتهما طاهرتَيْن، فمسح عليهما» فصار دليلًا يستدل به العلماء على جواز مسح الخفين.

وفي الصحيحين من حديث المغيرة بن شعبة -رضي الله عنه- أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول دُبر كل صلاة مكتوبة: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد».. هنيئًا له بأجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة.

لك أن تتأمل في عبارته الجليلة الجميلة: «اشكر من أنعم

عليك وأنعم على من شكرك، فإنه لا بقاء للنعم إذا كفرت، ولا زوال لها إذا شكرت».. ألا تستحق أن تخطَّ بماء الذهب وتعلّق على أستار منازلنا.

توفي الداهية (مغيرة الرأي) سنة خمسين للهجرة، وله من العمر سبعون سنة، رحمه الله وغفر له وجمعنا به في دار قراره.

أين نحن من أجدادنا؟! الذين ذللوا الطرق ومهدوا السُّبل من أجلنا، هم بـدؤوا وعلينا أن نواصل ونكمل مسيرتهم العظيمة.

كثيرنا يملك الفطنة والذكاء، وقليلنا يُجيد استخدامهما، تمعّن في طيات الأمـور لتجد الحل الأمثل؛ فهذه سياسة المغيرة.

الغباء أن تُقحم نفسك في المآزق ثم تبحث عن مخرج، والذكاء ألا تدخل في معركة وأنت الخاسر (لا تَسْعَ إلى الهيجاء بغير سلاح).

الحيلة وحسن التخلص محمودان ما لم يخالفا الشرع، اعمد لحيلة تعود على دينك ووطنك بالنفع واليُمن والمسرات،

لا تقبع خلف جدران منزلك دون أن تشارك الأمة أفراحها وأتراحها، يقول صلى الله عليه وسلم: «من لم يهتم بأمور المسلمين فليس منهم».

لا معنى للحياة من غير هدف، ولا معنى للهدف إلّا بتحقيقه، ولا يتحقق الهدف إلّا بالعلم والعمل، والجد والاجتهاد، والمثابرة الدؤوبة.

تخلّص من المُشتتات والمُلهيات، لأنها تحدُّ من نشاطك، وتقيّد حركتك، وتضعف عزيمتك وتضيّع أغلى وأثمن ما تملك (وقتك).

احرص على ما ينفعك.. الذي لا ينفعك لا يلزمك.. إذا عرفت فالزم تذكر هذه العبارات دومًا، اعمل بمضمونها، تجد أثرها في حياتك.

لا تدع عمرك يمرّ إلّا وقد ساهمت بعملٍ نافع، تذْكُرك به الأمة والعروبة والأجيال، فيظل اسمكَ نابضًا في ذاكرة التاريخ.

من أراد المراتب العُلا فليحث خُطاه جاهدًا مجاهدًا في سبيلها، أنتَ وأنتِ تستحقانها، فسارعا وبادرا لنيلها.

زياد بن أبيه

«لله هذا الغلام، لو كان قرشيًّا لساق العربَ بعصاه»

بدت عليه علامات النجابة والزعامة، فأُعجب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بشخصيته وفصاحته وذكائه المتوقد.

تميّز -رحمه الله- بنبوغ عقله وقوة حزمه وسداد رأيه وبلاغة منطقه ونُبل أخلاقه، فحظي بمنزلة من الدهاء لا ينازعه فيها أحد، سياسته (اللين في غير ضعف، والشدة في غير عنف).

أسلم التابعي زياد بن أبيه في عهد الخليفة الراشد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وكان كاتبًا لأبي موسى الأشعري، وله أيادٍ بيضاء في تثبيت أركان الدولة الأموية بعدما قرّبه معاوية بن أبي سفيان ووضعه بجانبه.

أول من جُمعت له إمارة العراقيين (البصرة والكوفة) في العصر الأموي، هو زياد بن أبيه وكان يُقيم ستة أشهر بالبصرة ومثلها بالكوفة.

ابن سمية، أول من أمر بتطبيق حظر التجول ليلًا في الإسلام، وذلك عندما رأى الفساد ظاهرًا في أهل البصرة، فعزم أمره على الإصلاح وقام يخطب فيهم خطبته الشهيرة بالبتراء -لأنها خلت من حمد الله والصلاة على نبيه-، وكانت خطبة مدوية ارتعدت منها فرائصهم، قال فيها:

«أما بعد، فإن الجهالة الجهلاء، والضلالة العمياء، والغَيَّ

المُوَفِّيَ بأهله على النار ما فيه سفهاؤكم، ويشتمل عليه حلماؤكم من الأمور العظام ينبت فيها الصغير، ولا يتحاشى عنها الكبير، كأنكم لم تقرؤوا كتاب الله ولم تسمعوا ما أعد الله من الثواب الكبير لأهل طاعته، والعذاب الأليم لأهل معصيته في الزمن السرمدي الذي لا يزول.

أتكونون كمن طرفت عينيه الدنيا، وسَـدَّتْ مسامعه الشهوات، واختار الفانية على الباقية، ولا تذكرون أنكم أحدثتم في الإسلام الحدث الذي لم تسبقوا إليه؛ من تركككم الضعيف يقهر ويؤخذ ماله، ما هذه المواخير المنصوبة والضعيفة المسلوبة في النهار المبصر والعدد غير قليل؟

ألم يكن منكم نُهَاةٌ تمنع الغُـواةَ عن دَلَـجِ الليل وغارة النهار؟! قربتم القرابة، وباعدتم الدين، تعتذرون بغير العذر، وتُغضُون على المختلس، كل امرئٍ منكم يذبُّ عن سفيهه صنيع من لا يخاف عاقبة ولا يرجو معادًا.

ما أنتم بالحلماء ولقد اتبعتم السفهاء، فلم يزل بكم ما ترون من قيامكم دونهم حتى انتهكوا حُرَمَ الإسلام، ثم أطرقوا وراءكـم كنوسًا في مكانس الرَّيـب، حـرام عليّ الطعام

والشراب حتى أُسوِّيها بالأرض هدمًا وإحراقًا.

إني رأيت آخر هذا الأمر لا يصلح إلا بما صلح به أوله: لينٌ في غير ضعف، وشدةٌ في غير عنف، وإني أقسم بالله لآخذنَّ الولي بالمولى، والمقيم بالظاعن، والمقبل بالمدبر، والمطيع بالعاصي، والصحيح منكم في نفسه بالسقيم حتى يلقى الرجل منكم أخاه فيقول: انجُ سعدُ فقد هلك سعيدٌ، أو تستقيم لي قناتُكم.

إن كَذْبَةَ المنبرِ بَلْقَاءُ مشهورة؛ فإذا تعلقتم عليّ بكذبة فقد حلَّت لكم معصيتي، فإذا سمعتموها مني فاغْتَمِزُوها فِيَّ، واعلموا أن عندي أمثالها.

من نُقِبَ منكم عليه فأنا ضامنٌ لما ذهب منه، فإياي ودلج الليل؛ فإني لا أوتي بمُدلجٍ إلا سفكت دمه، وقد أجلتكم في ذلك بمقدار ما يأتي الخبر الكوفة ويرجع إليكم، وإياي ودعوى الجاهلية.

فإني لا أجد أحدًا دعا بها إلا قطعت لسانه، وقد أحدثتم أحداثًا لم تكن وقد أحدثنا لكل ذنب عقوبة؛ فمن غرّق قومًا غرَّقناه، ومن أحرق قومًا أحرقناه، ومن نقب بيتًا نقبنا

عن قلبه، ومن نبش قبرًا دفناه حيًّا فيه.

فكُفُّوا عني أيديكم وألسنتكم أَكْفُفْ عنكم يدي ولساني، ولا تظهر من أحد منكم ريبة بخلاف ما عليه عامتكم إلا ضربت عنقه، وقد كانت بيني وبين أقوام إِحَنٌ فجعلت ذلك دُبُرَ أُذُنِي وتحت قدمي، فمن كان منكم محسنًا فليَزدْ إحسانًا، ومن كان منكم مُسيئًا فليَنزعْ عن إساءته.

إني لو علمت أن أحدكم قد قتله السُّلُّ من بغضي لم أكشف له قناعًا، ولم أهتك له سترًا حتى يبدي لي صفحته؛ فإذا فعل ذلك لم أناظره، فاستأنفوا أموركم، وأعينوا على أنفسكم، فربَّ مُبْتَئِسٍ بقدومِنا سُيَسَرُّ، ومسرورٍ بقدومنا سَيَبْتَئِسُ.

أيها الناس، إنا أصبحنا لكم ساسة، وعنكم ذادة، نسوسُكم بسلطان الله الذي أعطانا، ونذود عنكم بفيء الله الذي خَوَّلَنا، فلنا عليكم السمع والطاعة فيما أحببنا، ولكم علينا العدل فيما ولينا، فاستوجبوا عدلنا وفيئَنا بمناصحتكم لنا.

واعلموا أني مهما قصرت عنه فلن أقصر عن ثلاث: لست مُحتَجبًا عن طالب حاجة منكم ولو أتاني طارقًا بليل، ولا حابسًا عطاءً ولا رزقًا عن إبانه، ولا مجمرًا لكم بعثًا،

فادعوا الله بالصلاح لأئمتكم؛ فإنهم ساستكم المؤدبون لكم، وكهفكم الذي إليه تأوون، ومتى يَصلُحُوا تَصلُحُوا.

ولا تُشربوا قلوبكم بغضهم، فيشتد لذلك غيظكم، ويطول له حزنكم، ولا تدركوا له حاجتكم مع أنه لو استجيب لكم فيهم لكان شرًّا لكم.

أسأل الله أن يعين كلًّا على كل، وإذا رأيتموني أنفذ فيكم الأمر فَأَنْفِذُوه على أَذْلالِهِ، وايم الله إن لي فيكم لَصَرْعَى كثيرة فَلْيَحْذَرْ كل امرئ منكم أن يكون من صَرْعَاي».

وأخذ يضرب بيدٍ من حديد لا يعرف شفقةً ولا رحمةً، حتى وأد الفتنة وقمع أربابها وضرب أعناق المخالفين والمناوئين، ومن شدّة ضبطه للأمور أمِن الناس بعضهم بعضًا، فلا يكاد يسقط شيء من رجل أو امرأة ويعرض له أحد، حتى يأتي صاحبه فيأخذه، وأصبحت تبيت المرأة فلا تغلق بابها.

تملّك الزمام وأرسى الأمن والأمان، وذاعت في الناس مقولته: «لو ضاع حبلٌ بيني وبين خراسان لعرفت من أخذه».

حين استتب له الأمر وساس الإمارات والرعية بحنكته ودهائه، كتب لمعاوية: «إني قد ضبطت لك العراق بشمالي، ويميني فارغة، فأشغلها بالحجاز».

له العديد من الخطب تشهد على براعته، وحُسن منطقه وبيان لسانه، حتى قال عنه الشعبي: «ما رأيت أحدًا أخطب من زياد»، وخطبته البتراء -سابقة الذكر- تدل على أنه خطيب مفوّه، اقرأ ماذا يقول عنه الشعبي: «ما سمعت متكلمًا على منبر قط تكلم فأحسن إلا تمنيت أن يسكت، خوفًا من أن يسيء، إلا زيادًا فإنه كلما كان أكثر كان أجود كلامًا».

لله در ابن أبيه صنع العجب العُجاب، وهو مجهول النسب لا يُعرف له أب، ورغم ذلك اعتمد على نفسه في تكوين شخصيته، حتى قيل إنه رابع دهاة العرب رحمة الله عليه، وقد قال صلى الله عليه وسلم: «مَن بَطَّأَ به عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ به نَسَبُهُ».

ويقول الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

كن ابن من شئت واكتسب أدبًا
يغنيك محموده عن النسبِ

فـلـيـس يـغـنـي الـحـسـيـب نسبته
بـــلا لـــســـانٍ لـــه ولا أدبِ
إن الـفـتـى مـن يـقـول: هـا أنـا ذا
لـيـس الـفـتـى مـن يـقـول كـان أبـي

كم تمنينا أن نصبح كفلان وعلّان من العظماء والمؤثرين، وهذه الفرص تتوالى يومًا بعد يوم، فالفطن الكيس من يغتنمها ويجعلها نصب عينيه ليفوز بمراتبهم.

اعتمد على الله ثم على نفسك في بناء شخصيتك، وتذكر دومًا بأن النجاح ليس مستحيلًا، وأن القمة تتسع للجميع، (كن مؤمنًا بقدراتك ومواهبك).

إذا حباك الله جـرأةً وفصاحةً، فاصعد المنبر واخطب بالناس، مذكرًا وواعظًا مبشرًا ومنذرًا، فربّ كلمة تُلقيها تكون سببًا في هداية آلاف مؤلفة من البشر.

كن قوي الحجة، عنيف الخصومة في الحق، فلا تجعل للباطل ذريعة إلّا وقطعت دابرها، بما آتاك الله من فصاحة لسان وحذق بيان.

استعن بالله ولا تعجز ولا تكسل، وابدأ عملك بهمة ونشاط

وحيوية، فالطريق طويل والزاد قليل والدنيا محطة عبور، واحرص أشد الحرص على عمرك ووقتك وصحتك فهي أغلى ما تملك.

التسويف والتأجيل والمماطلة، سمومٌ قاتلة متى ما نفذت وتسللت حياة الإنسان، وينبغي على المؤمن أن يتخلّص منها، لكي يهنأ في حياته ويسعد ويستمتع بإنجازاته.

انظر -أخي الكريم- إلى النماذج التي عرضتها لك في ثنايا الكتاب وغيرها الكثير، سترى وتلاحظ أن كل نموذج منهم يتفرّد عن غيره ويستقلّ بذاته وله سمة تميّزه عن أقرانه، وأنت كذلك تحظى بسمةٍ تميزك عن غيرك وتستقل بها ذاتك، ابحث عنها في أعماقك إلى أن تجدها، ثم اخدم بها دينك وعروبتك ووطنك.

(لتنعم في حياتك ضعْ لك هدفًا ساميًا، تنام وتستيقظ من أجله).

القاسم المشترك

بحثتُ وقرأتُ في سير دُهاة العرب ما شاء الله، ورأيت أن قاسمهم المشترك يكمن في همتهم العالية التي قادتهم إلى الشرف العظيم، وجعلت منهم عظماء، (بالهمم تنهض الأمم).

عَلى قَدرِ أَهلِ العَزمِ تَأتي العَزائِمُ
وَتَأتي عَلى قَدرِ الكِرامِ المَكارِمُ
وَتَعظُمُ في عَينِ الصَغيرِ صِغارُها
وَتَصغُرُ في عَينِ العَظيمِ العَظائِمُ.

أصحاب الهمم العالية هم الذين يحفظهم التاريخ، ويسطر لنا في جوف صفحاته مناقبهم ومآثرهم وشمائلهم، وبمجرد أن نقرأها أو نسمعها أو نشاهدها نود أن نكون مثلهم، (سنصبح مثلهم إن حذونا حذوهم).

يقول جلّ من قائل: {وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ (26)}.

الطموح العالي إحدى سمات الشخصيات المؤثرة في

المجتمع، فالشخص الطموح لديه في كل يوم مهمة، لا يغفى له جفن ولا يهدأ له بال ولا يهنأ له طعام أو شراب، حتى ينجزها على أكمل وجه.

يقول صلى الله عليه وسلم: «إن قامتِ الساعة وفي يدِ أحدِكم فسيلة، فإن استطاعَ ألا تقومَ حتى يغرِسَها فليغرِسْها».

اعلم أن الجميع لديه طموح وهدف سامٍ، واعلم أن الهمم تتفاوت في تحقيق الهدف والوصولِ إليه، فمن كان عالي الهمة سيصل لهدفه مهما ناوأته الرياح العاتية، ومن كان قاصر الهمة فلن يصل لهدفه وإن فُرِشَ طريقه بالورود.

ولم أرَ في عيوب الناس عيبًا
كنقص القادرين على التمام.

دهاة العرب هم بشر مثلنا، ومن هذا المنطلق أقول لك بالفم الملآن: نحن قادرون على تحقيق ما حققوه للأمة من رفعة وعزة وسيادة، فهلّا عزمنا وبدأنا.

يقول تعالى: {لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ (61)}.

ليس بيننا للمستحيل مكان فكل امـرئٍ منّا، بوسعه صُنع المعجزات بما وهبه الله من قدرات وإمكانيات، كل ما في الأمر أن نعرف ذواتنا حق المعرفة، وندرك بماذا نحن متميزون وشغوفون، ثم ننطلق بنفس توّاقة للمعالي طامحة.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «لا تصغرنَّ همّتكم؛ فإني لم أرَ أقعدَ عن المكرمات من صغر الهمم».

لا تسمحْ لأي مخلوق بأن يعوقَ مسيرتك نحو التفوق، ولا ترخِ أذنك لأي مثبط يدحض من عزيمتك، ولا تميل مع كل تيّار وريح تعصف بك، ولا تصدّقْ من يشكك في قوة إرادتك، (فهم أول من سيهتف لك تعظيمًا ويقف لك إجلالًا، حين تتربع على عرش القمة).

واثق الخطوة يمشي ملكًا.

النفس التوّاقة لا ترضى بما دون النجوم، فتجدها دائمًا ما تسعى وراء كل منقبة ومفخرة.

إِذا غـامَـرتَ في شَـــرَفٍ مَـروم
فَـلا تَـقـنَـع بِـمـا دونَ الـنُـجـومِ.

انظر في سير وتراجم الأوّلين، واعلم أنهم لم ينالوا هذا الشرف وهذه المكانة، إلّا بصدقهم وبما قدّمت أيديهم نصرةً لله ورسوله، اصدق وقدّم ما بين يديك وشاركهم النُصرة لتشاركهم الشرف والمكانة.

يقول الحق في كتابه الحق: {قَالَ اللهُ هَـذَا يَـوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (119)}.

هل تريد المعالي؟؟ إذًا فاسلك مسالكها...

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها

إن السفينة لا تجري على اليبس.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

الأئمة الأربعة

يقول صلى الله عليه وسلم: «من يُرد الله به خيرًا يفقهه في الدين».

الإمام الأعظم

قيل عنه: «من أراد أن يتبحر في الفقه، فهو عالة على أبي حنيفة».

النعمان بن ثابت المرزبان، التابعي الجليل والعالم النبيل، المكنّى بـ(أبي حنيفة)، عُدَّ من التابعين لأنه رأى عددًا من

صحابة رسول الله عليه السلام منهم أنس بن مالك رضي الله عنه، اختُلف في أصل نسبه ما بين عربي أو فارسي من الموالي -أعجمي-.

أبو حنيفة أول الأئمة الأربعة، ولمذهبه الحنفي فضل السبق فهو أقدمها، وأكثرها انتشارًا، والحنفية أول مدرسة فقه في التاريخ الإسلامي تُعرف بمدرسة الرأي.

يُروى عن أبي حنيفة أنه قال: «مررت يومًا على الشعبي وهو جالس فدعاني»، فقال لي: «إلى من تختلف؟»، فقلت: «أختلف إلى السوق»، فقال: «لم أعنِ الاختلاف إلى السوق، عنيت الاختلاف إلى العلماء».

فقلت له: «أنا قليل الاختلاف إليهم»، فقال لي: «لا تغفل، وعليك بالنظر في العلم ومجالسة العلماء، فإني أرى فيك يقظة وحركة»، قال: «فوقع في قلبي قوله، فتركت الاختلاف إلى السوق، وأخذت في العلم، فنفعني الله بقوله» فالشعبي -رحمه الله- هو من حثه ووجهه إلى طلب العلم.

لازم النعمان شيخه وأستاذه حمّاد بن أبي سليمان ثماني عشرة سنة، يطلب العلم عنده ويأخذه منه، وتصدّر مكانه

عند سفره وبعد وفاته، فهو التلميذ النجيب له، ومما قاله الشيخ حمّاد: «لا يجلس في صدر الحلقة بمحاذاتي غير أبي حنيفة» لفهمه وسعة أُفقه.

تولّى إمام الأئمة حلقة شيخه بعد أن بلغ أشدّه سنًّا وعقلًا، فأنجب لنا طلبة علم عظام جهابذة، كانوا سببًا في نشر علمه ومذهبه في أصقاع المعمورة، بما أولوه من اهتمام بالغ وتدوين، ومن أشهر طلابه الذين تتلمذوا على يده محمد بن حسن الشيباني وغيره الكثير، قال الشافعي رحمه الله: «الناس عيال على أبي حنيفة في الفقه».

عُرف -رحمة الله عليه- بصفات جليلة منها: الفقه والعلم والزهد والورع والتقوى والتواضع والكرم، ومما روي عنه أنه قام في ليلة من لياليه بالقرآن فختمه في ركعة واحدة، يقول ابن المبارك: دخلت الكوفة فسألت عن أفقه أهلها، فقيل لي: «أبو حنيفة» وسألت عن أزهد أهلها، فقيل لي: «أبو حنيفة» وسألت عن أورع أهلها، فقيل لي: «أبو حنيفة».

أزيدك من الشعر بيتًا، كان تاجرًا ميسور الحال يعمل في بيع

الخز (الأقمشة والثياب)، جميل المنظر حسن المظهر، يهتم بثيابه التي يرتديها وكان يُعرف بقدومه من رائحة العطر والطيب التي تفوح منه كالمبخرة.

ومن شمائله أنه طويل الصمت، عفيف اللسان، قال عبد الله بن المبارك، قلت لسفيان الثوري: «ما أبعد أبا حنيفة عن الغيبة؟ ما سمعته يغتاب أحدًا قط»، قال: «هو والله أعقل من أن يسلط على حسناته ما يذهب بها».

لم يُعِر للمناصب اهتمامًا ولم تشغل له بالًا، ورفضه القاطع للقضاء أكثر من مرّة يدّل على ذلك، بل هو الذي تسبب في جلده وسجنه، ومن ذلك قصته مع أبي جعفر المنصور عندما أمره بتولّي القضاء، فأبى أبو حنيفة، فحلف عليه أبو جعفر، فحلف أبو حنيفة ألا يفعل، فقال حاجب المنصور: «ترى أمير المؤمنين يحلف؟ فتحلف!!»

فقال أبو حنيفة: «أمير المؤمنين على كفارة أيمانه أقدر مني على كفارة أيماني، وأنا لا أصلح للقضاء» فقال له أبو جعفر: «كذبت إنك تصلح» فقال أبو حنيفة: «إنك حكمت عليّ بالكذب فكيف أصلح للقضاء!!»، ونستنبط من هذه

القصة حزمه وجزمه، وسرعة بديهته، وحدة ذهنه وخاطره رحمه الله.

ومن القصص التي تبيّن ذكـاءه، وحسن استخلاصه من المواقف المحرجة والحرجة، أنه دخل ذات يوم على أبي جعفر المنصور، وكان عنده كثير من الناس، وحينما رآه الطوسي قال: «اليوم أقتل أبا حنيفة»، ثم قال: «يا أبا حنيفة إن أمير المؤمنين يدعو الرجل منا فيأمره بضرب عنق الرجل لا يدري ما هو، أيسعه أن يضرب عنقه؟»

فطن أبو حنيفة إلى مكيدة الطوسي، فسأله قائلًا: «يا أبا العباس، أمير المؤمنين يأمر بالحق أو الباطل؟»، فأجابه: «بالحق»، حينها قال: «أنفذ الحق حيث كان ولا تسأل عنه»، ثم قال لمن كان بجانبه: «إنه أراد أن يوثقني فربطته».

سطع نجم الإمام الأعظم في المناقشة والمناظرة ومقارعة الرأي بالرأي، ومن قوة حجته قال الإمام مالك: «رأيت رجلًا لو كلمك في هذه السارية أن يجعلها ذهبًا لقام بحجته» يعني أبا حنيفة النعمان.

من وفائه وشهامته، كان له جار يشرب الخمر ويردد دائمًا:

أضـاعـوني وأيَّ فـتـىً أضـاعـوا
لـيـوم كـريـهـةٍ وسِـــــدادِ ثَـغْـــر

إلى أن يأخذه الليل فينام، وكان يزعج أبا حنيفة في كل ليلة ويمنعه النوم، وفي ذات يوم رجع أبو حنيفة إلى بيته، ولم يسمع صوت جاره، فسأل عنه، فقيل له: «عليه دين وتم سجنه».

فذهب أبو حنيفة إلى صاحب الدَّين وسدده، ثم ذهب إلى السجن يشفع لجاره، فأخرجه السّجان، وأمسك أبو حنيفة بيد جاره وهو يمشي به إلى بيته، فالتفت إليه، وقال: «هل أضعناك نحن؟» فقال جاره: «لا، بل حفظت ورعيت الجوار»، وتاب الرجل بعد هذا الموقف وهذه الشفاعة الحسنة.

توفي الفقيه إمام الأئمة رحمة الله عليه، سنة مئة وخمسين للهجرة في بغداد، بعد أن قضى سبعين سنة من عمره.

استثمر أبو حنيفة وقته وجهده وماله، في طلب العلم فأصبح من عظماء الأمة والبشرية، وأتى بما لم يأتِ به غيره، هذا هو الاستثمار الصحيح للقدرات والطاقات المخزونة في داخل أعماقنا.

فمتى كرّست الجهود في فنٍّ من الفنون أو علمٍ من العلوم

أو مهنةٍ من المهن يكون الناتج ابتكارًا مذهلًا غير مسبوق، ومتى بعثرت الجهود في كل مجالٍ وتخصص فإن الناتج سراب يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئًا، (ركز ثم ركز ثم ركز).

لا بأس أن تقرأ في جميع الفنون، ومختلف المجالات، وشتّى العلوم، بغرض المعرفة والمطالعة والاستزادة من العلم، ولكن تخصص في فنٍ ترغبه وتميل إليه، حتى تصبح مرجعًا نافعًا فيه.

وتأكد تمامًا أنه ليس بقدرة عقلك أن يستوعب، ويتخصص في جميع التخصصات، لأنك ميسر لما خلقت له، وليتوازن ويكتمل المجتمع ببعضه البعض، فلم نسمع بأن إنسانًا على وجه الأرض استطاع أن يجمع الطب والأدب والهندسة والسباكة والتجارة والنجارة...، في آن معًا.

لا تهدر وقتك وتضيع عمرك مشتتًا مذبذبًا لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، (تخصص ثم تخصص ثم تخصص).

الفقه هو الفهم، والفهم لا يأتي إلّا بإعمال العقل، إذا أردت أن تفهم شيئًا ما، أعمل عقلك وفكّر فيه مرارًا وتكرارًا،

فالعقل من أعظم النعم التي رُزقناها، -الحمد والشكر والثناء لله-.

تسلّح بالعلم واطلبه وتزود منه، لتنال أعلى المراتب في الدنيا والآخرة.

الله الذي رزق أبا حنيفة هذا العلم، فاطلب الله أن يرزقك العلم النافع ويجعلك من الراسخين فيه، ويفتح لك فتوح العارفين، لتنفع الإسلام والمسلمين.

العلم حجة على العالم، فعليه أن يتقي الله في حركاته وسكناته، وفيما يقوله ويفعله، وإذا سُئل عما لا يعلم، فليقلها بصريح العبارة وبالفم الملآن وبكل ثقة: «لا أدري».

هل نستطيع أن نصبح مثل النعمان بن ثابت؟؟

ولماذا لا نستطيع، ونحن نملك الوسائل والسبل والعقول، إن الإمكانيات التي في عصرنا تفوق الإمكانيات التي في عصر ابن ثابت بملايين المرّات، وهو أدعى إلى تفوقنا، فما هي حجتنا؟؟ وما هو عائقنا؟؟

إمام دار الهجرة

قيل: «يُوشِكُ أَن يَضْرِبَ النَّاسُ أَكبَادَ الإِبِلِ يَطلُبُونَ العِلمَ فَلاَ يَجِدُونَ أَحَدًا أَعلَمَ مِن عَالِمِ المَدِينَةِ».

توجّه الإمام مالك بن أنس إلى طلب العلم بعدما حثته وهيأته أمّه عالية بنت شريك بجميل قولها: «يا بني، اذهب إلى ربيعة

-الرأي- فتعلم من أدبه قبل علمه».

طلب الإمام مالك العلمَ وهو غضٌّ طري، واعتنى بتحصيله منذ صغره، حتى أصبح أشهر علماء المدينة، وثاني الأئمة الأربعة صاحب المذهب المالكي الذي اختص باعتماد عمل أهل المدينة؛ فهو يرى أنها حجة يؤخذ بها ودليل يستدل به، ومما قاله الشافعي عن أبي عبد الله: «إذا ذُكر العلماء فمالك النجم».

ومن أبرز معلميه الذين أخذ عنهم وتردد إليهم الإمام الزهري وابن هرمز وغيرهما، ومن قصصه التي تدل على ولَعه بطلب العلم وتمكنه منه ما رواه عن نفسه: «شهدت العيد، فقلت: هذا يوم يخلو فيه ابن شهاب».

فانصرفت من المصلى حتى جلست على بابه، فسمعته يقول لجاريته: «انظري من بالباب»، فسمعتها تقول له: «هو ذاك الأشقر مالك» قال: «أدخليه» فدخلت، فقال: «ما أراك انصرفت بعد إلى منزلك؟»، قلت: «لا»، قال: «هل أكلت شيئًا؟»، قلت: «لا»، قال: «أتريد طعامًا؟»، قلت: «لا حاجة لي فيه»، قال: «فما تريد؟».

قلت: «تحدثني» قال: «هات»، فأخرجت ألواحي، فحدثني بأربعين حديثًا، فقلت: «زدني»، قال: «حسبك، إن كنت رويت هذه الأحاديث فأنت من الحفاظ»، قلت: «قد رويتها»، فجبذ الألواح من يدي، ثم قال: «حدث»، فحدثته بها، فردها إليَّ وقال: «قم، أنت من أوعية العلم».

بدأ إمام دار الهجرة يُعلّم الناس ويفتيهم ويحدّث بحديث رسول الله عليه السلام، وهو ابن الواحد والعشرين عامًا، فقد قال «ما جلست للحديث والفتوى حتى شهد لي سبعون شيخًا من أهل العلم أني موضع لذلك».

وكان يتجمّل ويلبس أفخر الثياب وأجددها، ولا يُحدّث بحديث رسول الله إلّا على وضوء، وعندما سُئل عن ذلك قال: «أحب أن أعظّم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أحدّث به إلا متمكنًا على طهارة».

وأخرج عالمنا الجليل، عالمًا جليلًا مثله، وهو تلميذه النابغة الأريب محمد بن إدريس الشافعي، القائل: «مالك حجة الله على خلقه بعد التابعين، ومالك أستاذي، وعنه أخذت العلم، ومالك معلمي، وما أحد أمنّ عليّ من مالك، وجعلته حجة

فيما بيني وبين الله».

عُرف -رحمه الله- بالسمت والعزة والهيبة والأنفة والعلم والفقه والإخلاص والدقة والتحري والتثبت، فلا يأخذ ولا ينقل إلّا عن الثقات، وقد بيّن ذلك في قوله: «لقد أدركت في هذا المسجد (المسجد النبوي) سبعين ممن يقول: قال رسول الله فما أخذت عنهم شيئًا، وإن أحدهم لو اؤتمن على بيت مال لكان أمينًا عليه إلا ظانهم لم يكونوا من أهل هذا الشأن».

سُئل -رحمة الله عليه- في ثمانٍ وأربعين مسألة، فأجاب عن اثنين وثلاثين منها بـ«لا أدري» وهذا من شدّة حرصه وخوفه من الفتوى، فلا يُفتي إلّا بعد أن يتأكد، قال فيه ابن المبارك:

يأبى الجواب فما يراجع هيبةً فالسائلون نواكسُ الأذقان

هديُ الوقار وعزّ سلطان التقى فهو المهيبُ وليس ذا سلطان.

مما أُثر عنه مقولته الشهيرة: «كل يُؤخذ من كلامه ويُرد إلا صاحب هذا القبر»؛ يعني النبي عليه الصلاة والسلام.

للإمام مالك مواقف كثيرة مع أهل البدع والضلال ومنها، عندما سأله رجل: «يا أبا عبد الله {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ

اسْتَوَى (5)} كيف استوى؟ فأجابه الإمام مالك: «الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة، وأظنك صاحب بدعة»، فأمر به فأُخرج.

ومن ذلك قول الإمام الشافعي: «كان مالك إذا جاءه بعض أهل الأهواء، قال: أما إني على بينة من ربي وديني، وأما أنت فشاك، اذهب إلى شاكٍّ مثلك فخاصمه».

ألّف لنا ثاني أئمة أهل السُّنة والجماعة، كتابه (الموطأ) الذي أطبقت سمعته الآفاق حتى قيل: «ما على وجه الأرض بعد كتاب الله أصح من كتاب مالك»، ربما يسأل سائل: ألهذه الدرجة؟، فأُجيبه: نعم لهذه الدرجة وأكثر، لأنه لم يجمعه في يوم وليلة، بل استغرق أربعين سنة في جمعه، بعد تحرٍّ وتدقيق وتمحيص وفحص، فلمّا استغلظ واستوى على سوقه أخرجه لنا.

يرى البعض أن تسمية الموطأ مأخوذة من التوطئة؛ أي التهيئة والتسهيل والتمهيد، وذهب البعض الآخر أن سبب التسمية مأخوذة من المواطأة أي الموافقة، لأن أئمة عصره وافقوه عليه، -وفي كلٍّ خير-.

كتب أحد العبّاد الزّهاد إلى الإمام مالك -رحمه الله- يُنكر عليه اشتغاله بالعلم ويدعوه إلى التفرغ للعبادة، فكتب له الإمام مالك: «إن الله قسّم الأعمال كما قسّم الأرزاق، فرب رجل فتح له في الصلاة، ولم يفتح له في الصوم، وآخر فتح له في الصدقة ولم يفتح له في الصوم، وآخر فتح له في الجهاد.

فنشر العلم من أفضل أعمال البر وقد رضيت بما فُتح لي فيه، وما أظن ما أنا فيه من دون ما أنت فيه، وأرجو أن يكون كِلانَا على خير وبر»، وهذا مصداق لقوله صلى الله عليه وسلم: «اعملوا فكل ميسرٍ لما خلق له».

أصابته محنة عظيمة، جُلد من جرّائها بالسوط وخُلعت كتفه، حتى أصبح يُصلي مسدلًا (خافضًا) يديه من شدّة ما ألمّ به، وظل صابرًا محتسبًا يردد «لا خير فيمن لا يؤذى في هذا الأمر».

أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله، لله الأمر من قبل ومن بعد، هذه آخر كلماته قبل وفاته، في مدينة رسول الله عليه السلام، ودفن في مقبرة البقيع، بعد أن كان من المعمّرين رحمة الله عليه.

سقى جَـدَثًـا ضَـمَّ البقيعُ لمالك
من الـمُـزْنِ مِرْعادُ السحائب مِبْرَاقُ
إمـامٌ مـوطَّـاهُ الـذي طَـبَـقَـتْ به
أقـاليـمُ في الـدُّنـيـا فِـسَـاحٌ وآفـاقُ.

العلم نقيض الجهل ولا يستويان، دخل رجل متبختر مُتزيّن على سقراط (فيلسوف يوناني) وتلاميذه، فنظر له سقراط مطولًا ثم قال: «تكلّم حتى أراك»؛ أي أن قيمتك في علمك لا في مظهرك.

اطلب العلم من المهد إلى اللحد، ومن المحبرة إلى المقبرة، أخي أختي الكريمين، ما دمتما تتنفسان الهواء، فبمقدرتكما طلب العلم، وإن تقدّم بكما السن، فالعلم لا ينظر إلى أعماركما.

العلم يرفع بيتًا لا عماد له ... والجهل يهدم بيت العز والشرف

طالب العلم من وطّن نفسه على الصبر والمداومة، طالب العلم من يأخذ العلم من أهله الثقات بعد أن يتثبّت من تمكنهم وأهليتهم.

العلم سلاح وزينة العلماء، فلن تجد عالمًا إلّا كابد المشقة

والعناء، في سبيل تحصيله.

الأم هي المربية والمعلمة، ولها دور كبير في بناء شخصيات أبنائها وبناتها، ولو ظفرنا في كل منزل من منازل المسلمين بأمٍّ مثل عالية بنت شريك، لظفرنا بعالم أو عالمة تنتفع بهما الأمة، ولنا في سيرة الإمام مالك عبرة حينما شجعته أمه بكلماتها الرنانة، فنعم الأم عالية ونعم الابن مالك.

لا تتصدرْ منابر العلم قبل أوانك، فإن العجلة ندامة والتأني سلامة، قد تغرّك نفسك بأنك جاهز لتعليم الناس، فلا تستجبْ لها، وشاورْ من سبقوك في هذا المجال، وإن أجمعوا على كلمة فخذْها واعملْ بها، سواءٌ خالفت هوى نفسك أو وافقته.

دوّن الإمام مالك كتابه (الموطأ) في أربعين سنة من حياته، واستفادت الأمّة من هذا الكتاب؛ الذي يُعدّ مرجعًا من أهم المراجع الموثوقة، ما بالنا لا نكتب ولا نؤلف ولا ندوّن، صدقني -عزيزي القارئ- لا يوجد مانع يمنعنا، بالإرادة ننجح ونفلح.

ناصر السُّنة

عن عبد الله بن أحمد بن حنبل: قلت لأبي: «أي رجل كان الشافعي، فإني أسمعك تكثر من الدعاء له؟»، فقال لي: «يا بني، كان الشافعي كالشمس للدنيا، وكالعافية للناس، فانظر هل لهذين من خلف أو منهما عِوض؟».

الإمـام العلّامة محمد بن إدريـس الشافعي المطّلبيّ القرشيّ، يجتمع نسبه مع النبي صلى الله عليه وسلم في عبد مناف بن قصي بن كلاب، كنيته (أبو عبد الله).

ثالث الأئمة الأربعة، وصاحب المذهب الشافعي، مؤسس علم أصول الفقه، أشار إليه في كتابه العظيم المشهور (الرسالة)، الذي قرأه عبد الرحمن بن مهدي فَدُهش به وقال: «ما أظن أن الله عز وجل خلق مثل هذا الرجل».

عاش حياته يتيمًا فقيرًا، لدرجة أنه لا يجد ما يكتب عليه سوى العظام والجلود وظهور الرسائل، وكان لأمه الأثر الكبير في تهذيبه وتعليمه والحفاظ على نسبه، حين انتقلت به من موطن ولادتـه (غـزة) إلى مسقط رأسه (مكة)، وحرصت أشد الحرص على تعليمه بعدما رأت ذكاءه المتوقد وحفظه الشديد.

فأخذ يتعلم ويحفظ القرآن والأحـاديـث، يـروي عن نفسه رحمه الله: «حفظت القرآن وأنا ابن سبع سنين، وحفظت الموطأ وأنا ابن عشر سنين»، ثم ذهب إلى قبيلة

هذيل يأخذ ويتعلم منها اللغة؛ وهي من أفصح العرب حينذاك، وأجادها وبلغ مداها؛ بدليل ما قاله الأصمعي الذي له مكانةٌ عاليةٌ في اللغة: «صححت أشعار هذيل على فتى من قريش يقال له محمد بن إدريس».

استمر يطلب العلوم حتى نبغ فيها وبلغ شأوًا من الفقه بعيدًا، حينها أذن له بالفُتيا مسلم بن خالد الزنجي (مفتي مكة في زمانه) قائلًا: «افتِ يا أبا عبد الله، فقد آن لك أن تفتي»، وهو دون العشرين حينئذٍ.

تتلمذ أبو عبد الله على يد الكثير من العلماء؛ على رأسهم المفتي مسلم بن خالد الزنجي، والإمام مالك بن أنس الأصبحي، والعلّامة محمد بن حسن الشيباني وغيرهم، ومن نصائح الإمام مالك له أول ما لقيه: «إني أرى الله قد ألقى على قلبك نورًا، فلا تطفئه بظلمة المعصية».

ذكرنا أنه تتلمذ على يد الإمام مالك (صاحب المذهب المالكي في الحجاز)، والعلّامة الفقيه محمد بن حسن (تلميذ أبو حنيفة صاحب المذهب الحنفي في العراق)، وبذلك نستنتج أنه جمع بين المذهبين وَفَقِهَهُمَا، يقول

في ذلك ابن حجر: «اجتمع له علم أهل الرأي (العراق)، وعلم أهل الحديث (الحجاز)».

من هنا انطلقت الشرارة الأولى في أن يتوسط ويجمع بين المدرستين من غير مخالفة أو مجاوزة، وبناءً على ما أوتي من علم أنشأ مذهبه الشافعي داعيًا له، ومن أقواله رحمه الله: «إذا صح الحديث فهو مذهبي»، وقال: «إذا خالف قولي قول رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فاضربوا بقولي عرض الحائط».

قال الإمام أحمد بن حنبل: «ما أحد مس بيده محبرةً ولا قلمًا إلّا وللشافعي في رقبته منّة، ولولا الشافعي ما عرفنا فقه الحديث، وكان الفقه مقفلًا على أهله حتى فتحه الله بالشافعي».

حدّث الربيع بن سليمان قال: «كان الشافعي يجلس في حلقته إذا صلى الفجر، فيجيئه أهل القرآن، فإذا طلعت الشمس قاموا وجاء أهل الحديث فيسألونه تفسيره ومعانيه، فإذا ارتفعت الشمس قاموا فاستوت الحلقة للمذاكرة والنظر، فإذا ارتفع الضحى تفرقوا، وجاء أهل

العربية والعَروض والنحو والشعر فلا يزالون إلى قرب انتصاف النهار».

وقال الربيع: «كان الشَّافعي قد جزأ الليل ثلاثة أجزاء؛ الثلث الأول يكتب، والثلث الثاني يصلي، والثلث الثالث ينام».

قال صلى عليه وسلم: «إن الله يبعث على رأس كل مائة عام من يجدد لهذه الأمة أمر دينها»، واتفق العلماء على أن مجدد المئة الأولى الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز، ومجدد المئة الثانية الإمام الشافعي رحمهم الله جميعًا وغفر لهم.

لكلِّ عالمٍ جهبذ تلميذٌ جهبذ، لازم الإمام أحمد بن حنبل الإمام الشافعي يأخذ عنه وينهل منه العلوم، ومن طريف قصصهما يُقال: ركب الشافعي يومًا على حماره فمشى ابن حنبل إلى جانبه وهو يذاكره، فعاتبه أحدهم على فعله هذا، فرد عليه الإمام أحمد: «لو كنت في الجانب الآخر من الحمار لكان خيرًا لك».

بل تعدّت رفقتهما مرحلة التلميذ ومعلمه إلى الأخوة

والمحبة في الله، يقول الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: «ما صليت صلاة منذ أربعين سنة إلا وأنا أدعو للشافعي رحمه الله».

انظر لهذه الأبيات التي تجسد لنا محبتهما ووداهما ووئامهما في ذات الله،

يقول الإمام الشافعي:

أحب الصالحين ولست منهم
لعلي أن أنال بهم شفاعة
وأكره من تجارته المعاصي
وإن كنا سواءً في البضاعة

فرد عليه الإمام أحمد بن حنبل:

تحب الصالحين وأنت منهم
لعلهم ينالوا بك الشفاعة
وتكره من تجارته المعاصي
حماك الله من تلك البضاعة

وهذا من تواضعهما رحمهما الله رحمة واسعة.

وفي يوم من الأيام، مَرِضَ الإمام أحمد ولازم الفراش،

فزاره الإمام الشافعي، فلما رأى الشافعي -رحمه الله- الإمام أحمد مريضًا، أصابه الحزن، فمرض الإمام الشافعي ولَـزِمَ البيت، فلما علم الإمام أحمد بذلك تحامل على نفسه وذهب لزيارة الإمام الشافعي، فلما رآه الشافعي قال:

مـــرض الـحـبــيـــبُ فـــزرتـــه
فـمـرضـت مِـــن أسـفـــي عـلـيـه
شُـــفـــي الـحـبــيـــب فـــزارنـــي
فـشـفـيـت مِـــن نـــظـــري إلـيـه

انظر إلى هذه المعاني والمشاعر الصافية الصادقة، التي لا تجدها إلّا عند الرفقة الصالحة، ومحال أن تجدها عند رفقاء السوء ورفقاء المصالح.

قال يونس الصدفي: «ما رأيتُ أعقلَ من الشافعيِّ، ناظرتُه يومًا في مسألةٍ، ثم افترقنا، ولقيني فأخذ بيدي، ثم قال: يا أبا موسى، ألا يستقيم أن نكون إخوانًا وإن لم نتفق في مسألة».

فهو لا يُجادل لأجل الجدل، وإنما لإظهار الحق؛ سواء

على لسانه أو لسان مناظره.

وكان الشافعي شاعرًا فصيحًا، راميًا ماهرًا، رحّالًا مسافرًا، من دقته -رحمه الله- كان يُصيب العشرة من العشرة والتسعة من العشرة، وله ديوان شعري أضفى عليه صبغة الحكم والمواعظ، وهي بمثابة الدروس التي لا نفتأ نتعلم منها، وبعضها أصبحت أمثالًا يُضرب بها، ومن قصائده الرائعة:

دع الأيـــام تفـــعل ما تشاء
وطب نفسا بما حـــكم القضاء
ولا تجـــزع لحـــادثة الليالي
فما لحـــوادث الدنـــيا بقاء
وكن رجلًا على الأهـــوال جلدًا
وشيـــمتك الســـماحة والوفاء
وإن كـــثرت عيوبك في البرايا
وســـرَّك أن يكـــون لها غطاء
تســـتر بالســـخاء فكل عيب
يغـــطيه كما قـــيل السخاء

ولا حـــزن يـــدوم ولا ســـرور
ولا بـــؤس عـلـيـك ولا رخـاء
ولا تُـرِ للأعـــادي قـــط ذلا
فـــإن شمـــاتة الأعـداء بلاء
ولا تـــرج الســماحة من بخيل
فمـــا في الـــنار للظمآن ماء
ورزقـــك ليس ينقـصه التأني
ولـــيس يـزيـد في الـــرزق العناء
إذا ما كـــنت ذا قـــلب قنوع
فأنت ومـــالك الـــدنيا سواء
ومـن نـــزلتْ بســاحته المنايا
فـــلا أرضٌ تقِيـــهِ ولا سماء
وأرض الله واســـعة ولكن
إذا نـزل الـقـضـا ضـاق الـفـضـاء
دع الأيـــام تَـغْـدِرُ كـل حين
ولا يغـني عـن الـمـوت الـدواء

هذه القصائد التي يجب أن نحفظها ونتمثّل بها،

ونحفِّظها أبناءنا وبناتنا، لما تحمله من معانٍ سامية، وقيم راقية، ومبادئ عالية، فهي عميقة الأثر لمتمعِّنها.

توفي (ناصر السنة) في مصر آخر ليلة رجب، وله من العمر أربعة وخمسون عامًا، فرحمه الله وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

قرأت ونظرت وبحثت في سيرة وترجمة الإمام الشافعي رحمه الله، وأدركت أن وراء كل رجلٍ عظيم امرأة عظيمة، والمرأة التي كانت وراءه هي أمه فاطمة بنت عبد الله الأزدية، (حقًّا النساء مصانع الرجال).

برز المطّلبيّ القرشيّ في علوم عدّة، ولكنه تخصص في الفقه حتى أنشأ مذهبًا جديدًا فيه، وهذا ما ندعو له ونقول به؛ تعلّم واقرأ وخذ من كل بحرٍ قطرة؛ بشرط أن تتخصص في علمٍ بعينه، وتضيف لمساتك الخاصة عليه.

ديدنُ العلماء في طلب العلم التوسط والاعتدال،

من غير غُلو أو تعصّب، فالعالم الحقيقي هو من لا يُجادل على باطل، والعالم الحقيقي هو الذي يصدع للحق وإن خالف هواه أو رأيه، العالم الحقيقي هو الذي يمقت ويبغض أهل البدع والضلال، العالم الحقيقي هو الذي يُجلّ أهل الاتباع والاقتداء بسنة محمد رسول الله.

أجمل ما يُذكر به الإنسان في حضوره وغيابه، وحياته ووفاته، حسنُ خلقه ودماثةُ طبعه وبسمةُ ثغره وصدقُ قوله ونبلُ صفاته ومروءةُ شخصه وكرمُ نفسه وقوةُ صبره وسعةُ باله، ليس من الصعب أن تجمعها (فالعلم بالتّعلم والحلم بالتّحلم) كما أخبرنا صلى الله عليه وسلم.

اخترْ إحدى الحسنيين: إمّا أن تكون مؤثرًا ويُشار لك بالبنان، أو تكون مؤثرًا ويُقال رحم الله فلانًا.

ما أروع أن تكون سببًا في تعليم الناس وهدايتهم وقضاء حوائجهم. لذة العطاء لا يُضاهيها شعور، يكفي أنها تغمرك بالسعادة والنشوة، تأمّل ما يقوله

الشافعي في أبياته التي تُكتب بماء العين والذهب:

الناس بالناس ما دام الحياء بهم
والسعد لا شك تارات وهبات
وأفضل الناس ما بين الورى رجل
تقضى على يده للناس حاجات
لا تمنعن يد المعروف عن أحد
ما دمت مقتدرًا فالسعد تارات
واشكر فضائل صنع الله إذ جعلت
إليك، لا لك عند الناس حاجات
قد مات قوم وما ماتت مكارمهم
وعاش قوم وهم في الناس أموات.

إمام أهل السنة والجماعة

يقول علي بن المديني: «إن الله -عز وجل- أعزّ هذا الدين برجلين ليس لهما ثالث؛ أبو بكر الصديق يوم الردة، وأحمد بن حنبل يوم المحنة».

الإمام المبجل أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني الذهلي،

رابع الأئمة الأربعة وصاحب المذهب الحنبلي، يلتقي نسبه مع رسول الله في نزار بن معد بن عدنان.

له كتاب إمـام كما أطلق عليه رحمه الله، يحتوي بين ثناياه ما يُقارب أربعين ألف حديث، يُعرف بـ(المسند)، وقد روي أنه قال لابنه عبد الله: «احتفظ بهذا المسند فإنه سيكون للناس إمامًا».

نشأ أبو عبد الله يتيمًا فقيرًا مُحبًّا للعلم، وبرز فيه حتى فاق أقرانه، قال بعض الآباء: «إني أنفق على أولادي وأجيئهم بالمؤدبين لكي يتأدبوا فما أراهم يفلحون، وهذا أحمد بن حنبل غلام يتيم، انظروا كيف يخرج!»، {ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (4)}.

وأخذت أمه تشجعه وتعتني به أيّما عناية، ويظهر ذلك في قوله: «حفّظتني أمي القرآن وأنا ابن عشر سنين، وكانت توقظني قبل صلاة الفجر وتُحمي لي ماء الوضوء في ليالي بغداد الباردة، وتُلبسني ملابسي ثم تتخمر، وتتغطى بحجابها وتذهب معي إلى المسجد لبعد بيتنا عن المسجد ولظلمة الطريق».

الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعبًا طيب الأعراق

سافر إمام أهل السُّنة سيرًا على الأقدام، في سبيل طلب العلم، وكان لا يرجع عن نية نواها، يُحكى: «أنه رحل من العراق إلى اليمن مع يحيى بن معين ليأخذا الحديث من عبد الرزاق الصنعاني -أحد علماء اليمن-، فلمَّا وصلا إلى مكة وجدا عبد الرزاق الصنعاني.

فقال يحيى للإمام أحمد: «نحنُ الآن وجدنا الإمام، ليس هناك ضرورة في أن نذهب إلى اليمن»، فقال الإمام أحمد: «أنا نويت أن أُسافر إلى اليمن»، وعندما رجع عبد الرزاق إلى اليمن لَحِقا به، وبَقِيَ الإمام أحمد في اليمن عشرة أشهر، ثم رجع مشيًا على الأقدام إلى العراق.

فلمَّا رجع رأوا عليه آثار التعب والسفر فقالوا له: «ما الذي أصابك؟»، فقال الإمام أحمد: «يهون هذا فيما استفدنا من عبد الرزاق».

كيف يرجع عن نية نواها؟ وهو الذي أوصى ابنه عبد الله: «انوِ الخير؛ فإنك لا تزال بخير ما نويت الخير».

يقول عن نفسه: «ربما أردتُ الذهاب مبكرًا في طلب

الحديث قبل صلاة الفجر، فتأخذ أمي بثوبي، وتقول: حتى يؤذِّن المؤذِّن»، نستنبط من كلامه عُلو همّته في طلب العلم وتحصيله.

وصدق القائل: «إن عاش هذا الفتى فسيكون حجة على أهل زمانه».

أخذ الإمام أحمد يجوب الآفاق ويقطع البراري والقفار متنقلًا من مكان إلى مكان، وذلك لمشيئة أرادها الله، فقد جمعه بعلماء عصره الجهابذة، أمثال: الإمام الشافعي، وهشيّم بن بشير، وسفيان بن عيينة، ووكيع بن الجراح وغيرهم...، وأخذ منهم ما شاء الله أن يأخذه من علمٍ نافعٍ له ولأمة محمد.

ودليل صدقه يظهر في قوله: «ما كتبتُ حديثًا عن النبي -صلى الله عليه وسلم- إلا وقد عملتُ به».

وعندما رآه رجل من معاصريه والمحبرة في يده يكتب ويستمع، قال له: «يا أبا عبد الله، أنت قد بلغت هذا المبلغ، وأنت إمام المسلمين»، فقال جملته الشهيرة: «مع المحبرة إلى المقبرة»، وكان يقول: «أنا أطلب العلم إلى

أن أدخل القبر».

ذاع صيت ابن حنبل وانتشر علمه بين الناس، وأصبحت الألسنة تلوك بذكر محاسنه، ومع ذلك كان يقول: «طوبى لمن أخمل الله ذكره»، لأنه لم يلتمس العلم للشهرة وإنما مراده وغايته أسمى من ذلك.

تخرّج من مجالسه علماء أجلّاء فضلاء، أمثال: البخاري ومسلم وأبو داود وغيرهم...

قيل في مجالس رابع الأئمة الأربعة: «كانت مجالس أحمد مجالس آخرة، لا يُذكر فيها شيء من أمر الدنيا، وما رأيت أحمد بن حنبل ذكر الدنيا قط».

وكان لا يحب المُزاح في مجالس العلم، فقد رُوي عن خلف بن سالم أنه قال: «كنا في مجلس يزيد بن هارون، فمزح يزيد مع مستمعيه، فتنحنح أحمد بن حنبل، فضرب بيده على جبينه وقال: ألا أعلمتموني أن أحمد هنا حتى لا أمزح؟»، وقد تجنب ابن حنبل المزاح لأنه كان يرى أن رواية السُّنة عبادة، ولا مزاح في وقت العبادة.

وبلغ عدد الحاضرين لمجالسه خمسة آلاف طالب؛

خمسمئة طالب يكتبون العلم، والبقية يتعلمون من هديه وسمته وخلقه، رحمه الله وغفر له.

الزاهد العابد التقي الورع، أدمن الصبر على الفقر لدرجة أنه يُكري -يؤجر- نفسه لكي يسد حاجته وحاجة أهل بيته بكسبٍ حلال يقتات منه، ويتعفف به عن سؤال الناس، وما يجده من شظف العيش.

وكان لا يقبل العطية من أي كائنٍ كان ولا يأكل إلّا من كسب يده، ونحسبه ممن قال الله فيهم: {لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللهَ بِهِ عَلِيمٌ (273)}.

انشغل -رحمه الله- بطلب العلم، فلم يتزوج إلّا وله من العمر أربعون سنة، ولمّا توفيت زوجته -رحمها الله- قال: «مكثنا عشرين سنة؛ ما اختلفنا في كلمة»، اللهم إنّا نسألك الزوجة الصالحة الموافقة، وهو العمر الذي بدأ من خلاله يُعلّم ويُحدّث الناس ويفتيهم؛ أي حين بلغ أشده.

عصفت بالإمام أحمد فتنة هوجاء، وهي (فتنة خلق القرآن) التي ادّعاها المعتزلة، وتبنّاها الخليفة المأمون ثم المعتصم ثم الواثق، ظل الإمام أحمد في محنته ينافح عن الحق مع كل ما وجده من أنـواع وأشكال العذاب والاضطهاد.

تعرض الإمام في هذه المحنة للحبس والضرب والجلد بالسوط، بل كان يُضرب وهو صائم حتى يُغمى ويُغشى عليه والدماء تسيل من جسده الطاهر لكي يرضخ لهم بالقول، لكنه ثابت الجنان مُصِرٌّ على موقفه لا ينطق سوى بكلمة الحق «القرآن كلام الله ليس بمخلوق».

وصمد مستميتًا في دفاعه عن الدين، قال عز من قائل: {يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاءُ (27)}، صدق الله العظيم، اللهم إنّا نسألك الثبات حتى الممات.

مكث إمام أهل السنة والجماعة ثمانية وعشرين شهرًا في سجنه أثناء المحنة، إلى أن قوّضت هذه الفتنة على يد الخليفة المتوكل، وبقي الإمام علمًا شامخًا يرفرف في

علياء المجد والتاريخ، قيل: «والله ما نقوى على ما يقوى عليه أحمد، ولا على طريقة أحمد».

كلّما زاد سؤدده بين الناس زاد تواضعه رحمة الله عليه، قيل له: «جزاك الله عن الإسلام خيرًا»، فقال: «بل جزى الله الإسلام عني خيرًا، من أنا؟ وما أنا؟».

فاضت روحه إلى بارئها يوم الجمعة، وعمره حينئذ سبعة وسبعون عامًا قضاها في طلب العلم والدفاع عن الدين، وحضر تشييع جنازته جمٌّ غفير، أو كما قيل خرجت بغداد بكاملها، فلك أن تتصور المشهد المهيب لجثمانه.

روي عن الحافظ عبد الوهاب الوراق: «ما بلغنا أن جمعًا في الجاهلية ولا في الإسلام اجتمعوا في جنازة أكثر من الجمع الذي اجتمع على جنازة أحمد بن حنبل»، رحمة الله عليه ورضوانه.

ومن أعظم ما قيل في الإمام أحمد: «إذا رأيتم الرجل يحب أحمد بن حنبل فاعلموا أنه صاحب سنة»، وأُشهد الله على حبه.

طاف الإمام أحمد المدن يطلب العلم حتى حصل

عليه، ونحن قادرون على السفر والرحلة في سبيل العلم والحصول عليه، فاشحذ همتك -أيها القارئ الكريم- وكن ذا قلبٍ جسور ورأي نافذ، ثم انطلق في رحلة طلب العلم، لتعود عَلَمًا بارزًا يفخر بك الإسلام والعروبة.

إن أردت النجاح فعليك بثلاثة أمور: العلم ثم العلم ثم العلم، بمعنى طلبه ثم إتقانه ثم نشره.

ابنِ أساسًا متينًا من العلم والثقافة قبل أن تظهر للناس، لأن الكلمة التي ستصدر من فمك لن تكون قادرًا على استردادها، لذلك أوصيك بعدم الاستعجال في الظهور؛ وإن طُلب منك ذلك، فأنت أخبر وأدرى بنفسك وبحصيلتك التعليمية ومخزونك الثقافي.

لكل فن أرباب، فاخترْ لنفسك فنًّا لتكون من أربابه، لا تتقمص دورًا غير دورك ولا شخصية غير شخصيتك لترضي الناس، بل اعمل لإرضاء ضميرك وذاتك، فمتى كنت راضيًا عن نفسك سيرضى من حولك عنك، لأنهم سيدركون أن رضاهم ليست غايتك.

دع سفاسف الأمور وارقَ بنفسك عن كل ساقطة تُضيع

وتُهدر وقتك وجهدك بلا عائدٍ يُذكر، واحرص على وقتك وجهدك من اللصوص، واستثمرهما بالعلم والتعلُّم، تكن حياتك جميلة مرضية لك ومؤثرة في غيرك.

العمر يفنى والحياة فرصة، اغتنم كل ثانية منها، وتعلّم في كل يوم شيئًا جديدًا، يُضِيف لك مستقبلًا باهرًا، فزرع اليوم حصاد الغد، وليكن همّك وهدفك من العلم التقدم والنهضة بدينك ووطنك.

التجارب كفيلة بأن تصقل شخصيتك وتبنيها، فلا تحرم نفسك من الخوض في غِمارها بسبب الخوف أو التردد، خُضها لتتعلم منها ويحتك عقلك بعقول الآخرين، فتكتسب خبرةً من خبراتهم، وتزداد معرفةً من معارفهم.

القاسم المشترك

بعد أن أكرمني الله واطلعت على سير الأئمة الأربعة، لاحظت أن لديهم سمةً وقاسمًا مشتركًا يجمع فيما بينهم، وهذا القاسم هو الاختلاف.

الاختلاف في الرأي والفكر والفهم، مما جعل لكل إمام من الأئمة الأربعة مذهبًا خاصًّا به، تبنّاه بعد اجتهادٍ وعلم وفقه، وهذا الاختلاف في الفروع، أمّا الأصول فجميعهم متفقون عليها مقرّون بها، وهذا إن دلَّ فهو يدل على اجتهادهم في البحث والتحري ودقة النظر.

والفيصل في قضية الاختلاف قوله تعالى: {وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللهِ ذَٰلِكُمُ اللهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ (10)}.

العالِم له أحقية في إبداء رأيه الذي وصل إليه بعد استنباط واستنتاج واجتهاد، من غير شطط أو نزق أو تعصب، فالاختلاف لا يعني الخلاف.

لم يصل العالم لهذه الدرجة من العلم، إلّا بعد مشقةٍ وعناء وسهر متواصل دام لسنين طوال يَنهمُ فيها من المعارف ويتزودُّ من العلوم، فلا يحق لنا أن نهمشه أو نجردِّه من مكانته لمجرد اختلافنا معه، والواجب علينا إجلاله وتوقيره فهو مجتهد، وللمجتهد أجران إنْ أصاب وأجر إنْ أخطأ، فهو مأجور في كلا الحالتين.

يقول الله في كتابه العزيز: {قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ (٩)}.

الاختلافُ سنةُ الله في خلقه؛ فتعاقبُ الليلِ والنهارِ، والمدُّ والجزرُ، والموتُ والحياةُ، والعافية والبلاء، ظواهر تدل على الاختلاف، وهذه الاختلافات مثلها مثل اختلاف الآراء ووجهات النظر.

«لولا اختلاف الأذواق لبارت السلع».

الخلافُ سنةٌ من سُنن الحياة، ومظهرٌ من مظاهرها، فعلينا أن نتعايش معه، لا تجعل الخلاف يُفسد حياتك أو يُعكِّر صفوك، تقبّله بصدر رحب واعلم أن لكل

إنسان معتقداته وقناعاته الخاصة به.

وَإِن الَّذي بَيني وَبَين بَني أَبي وَبَينَ بَني عَمّي لَمُخْتَلِفٌ جِدًّا.

لا تجعلِ الخلاف الذي بينك وبين شخص آخر يهدم ويقطع علاقتكما، ضعْ نفسك في مكانه، وستدرك أن له عقلًا يُفكر به ومنه يصدر ويأخذ قراراته مثلك تمامًا، فلا تزعم أنك على حق دون أن تستمعَ له بإصغاء وحتى يُنهي حديثه.

ومن الأقوال التي تحسم مسألة الخلاف: «لو سكت من لا يعلم لقلَّ الخلاف».

أوصيك بدعاء الرسول صلى الله عليه وسلم: «اللَّهمَّ ربَّ جبريلَ وميكائيلَ وإسرافيلَ، فاطرَ السَّماواتِ والأرضِ، عالِمَ الغيبِ والشَّهادةِ، أنتَ تحكُمُ بينَ عبادِكَ فيما كانوا فيهِ يختلِفونَ، اهدِني لما اختُلِفَ فيهِ منَ الحقِّ بإذنِكَ إنَّكَ تهدي من تشاءُ إلى صِراطٍ مستقيمٍ».

الإنسانُ بطبيعته يكبر ويتعلم، فمن الطبيعي أن تتغير وتتبدل آراؤه السابقة بناءً على مفاهيمه المتغيرة

والمتجددة بشكل مستمر، (ومن لا يتجدد يتبدد، ومن لا يتقدم يتقادم، ومن لا يتطور يتدهور، ومن لا يتعلم يتألم).

تعلم فليس المرء يولد عالمـًا
وليس أخو علم كمن هو جاهـل

لكل شخصٍ رأيٌ، ولابد أن نحترم رأيه لكي يبادلنا الاحترام.

ليكن شعارك: «اختلاف الرأي لا يفسد للود قضية».

هبْ أن الله خلقنا متفقين في كل شيء هل سيكون للحياة طعم؟؟

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

جهابذة الأدب

لَـيْـسَ الـجَـمَـال بـأَثْـوابٍ تُـزَيِّـنُـنَـا
إن الجمال جمال العلم والأدب
ليس اليتيم الـذي قد مـات والـده
إِنَّ اليَتيمَ يَتيمُ الـعِـلْـمِ والأَدَب

علي بن أبي طالب رضي الله عنه

مُعجزة الأدب العربي

سطّرت أنامله نهضة للأدب العربي، وجعل من ضعفه قوة، لم يندبْ حظَّه، ولم يركن إلى اللوم، والحسرة، وإنما حثَّ خُطاه جاهدًا مُجاهدًا في طلب العلم، والثقافة حتى قيل عنه: «إمام الكُتّاب في هذا العصر، وحجة العرب».

لم يشغلْ المناصب، ولم تشغله، بل كان يرى أن الوظيفة هي سبيلٌ للرزق الذي يقتات منه، ويُنفق على أسرته منها، ولو أرادها بغرض المظاهر الزائفة لعرف السبيل إليها وبلغ غايته منها، لكنّه رضي، واقتنع بقوت يومه.

بدأ مصطفى صادق الرافعي حياته الأدبية بكتابة الشعر، ونَظْمِ القريض، وكان من الشعراء الموهوبين في عصره لدرجة أن شعره يُعدّ من الطراز الأول، ثم انتقل من كتابة الشعر إلى النثر وفنونه، وأبدع فيها إبداعًا منقطع النظير، والسبب الذي جعله يعزف عن الشعر متوجهًا إلى النثر هو ما رآه من قيود في الشعر لا تُمكّنه من التعبير عن خلجات ومكنونات نفسه، وهذه القيود في نظره هي الوزن، والقافية.

اتجه الرافعي إلى النثر، وكان يرى أنه مجالٌ، خصبٌ، واسعٌ، مترامي الأطراف، يستطيع من خلاله الإبداع والتألق، وصدقت رؤياه، والشاهد على ذلك مؤلفاته وأعماله التي سطع نجمُها، ولمع بريقُها، وذاع صيتُها بما نالته من رضى واستحسان العلماء، والأدباء، والدَّهماء، لقد حقّ وصدق من لقّبه بمعجزة الأدب العربي.

ربّما يتساءل البعض عن شهاداته الأكاديمية، وعن ثقافته التي يتمتع بها، والجواب أنه ابتدائي الشهادة، ليس له من المرحلة التعليمية سواها، مثله مثل العقاد، وذلك لأنه أُصيب بمرض في أُذنه لازمه منذ صغره، وظل معه إلى أن كبر، وعندما بلغ الثلاثين من عمره فَقدَ سمعه بشكل كامل، فأصبح أصمَّ لا يسمع شيئًا، فهو صاحب عاهة مستديمة مثله مثل طه حسين، وهنا قال الرافعي جملته الشهيرة: «إن كان الناس، يُعْجِزهم أن يسمعوني؛ فليسمعوا مني».

وأمّا عن ثقافته الواسعة التي تفوق الوصف؛ فهي حصاد ما عكف عليه من القراءة والمطالعة في مكتبة والده الزاخرة بالكتب الدينية والأدبية، وغيرها... من هذه المكتبة تغذّى وصقل نفسه، فقد كان يقرأ كل ما تحتضنه المكتبة، وبعد أن قرأ في مختلف العلوم، مالت كفّته إلى الجانب الأدبي حتى إنهم قالوا عنه: «إن حياته ممثلة في أدبه».

يشتهر الرافعي بمعاركه الأدبية مع قرنائه، وأبرزها ما كان مع طه حسين حينما ألّف كتابه في الشعر الجاهلي؛ فقد ردّ عليه بكتاب (تحت راية القرآن)، وهو نقد لاذع لآراء

وأفكار طه حسين التي عرض لها في جوف كتابه. ولا ننسى معاركه مع عباس محمود العقاد الذي تمادى بهما الحال إلى أن قابلا بعضهما بمقالات مقذعة حادة اللهجة.

يظل الرافعي مثالًا للنخوة، والحمية، والغيرة؛ فقد ذاد ونافح بقلمه عن كل ما يمسُّ الدين، أو يقرب منه، أو يشكك في صحته، ولم يكن متابعًا بصمت، خالي الوفاض، بل كان الحصن الحصين، والدرع المتين، والفارس المغوار في رعاية الإسلام والمسلمين، والدفاع عن تراث العروبة وأدبها، وكان بالمرصاد لكل من ينجرف وراء التيّارات الغربية، مسلّمًا عقله لها مُفتتنًا بها.

انتقل الرافعي إلى جوار ربّه -عز وجل- بعد سيرةٍ عطرة، ومسيرةٍ قاد لواءها بكل صدقٍ وتفانٍ، فظلت مؤلفاته عامرةً ومضربًا للمثل من حيث الأصالة.

الرافعي معجزة الأدب العربي، وهو أصمُّ لا يسمع، وأنا وأنت نسمع بأمِّ آذاننا -الحمد لله- إذًا، ماذا ننتظر حتى نصبح معجزات العصر؟ ماذا ننتظر حتى تنهض مؤلفاتُنا بالمكتبات العربية، ويكون لها شأن في إصلاح الأمة،

ونكون من المساهمين في رِفعة الدين والرقي بالأدب العربي.

أخي.. أختي، نحن نملك ما فقده غيرنا، فلنسخّر هذه المعطيات في نفعِ أنفسنا وأمتنا، ولنضع لنا مجدًا وعزًّا تذكره الأجيال من بعدنا، أَطْلِقِ العَنان لنفسك ولقلمك ولا تَهَبْ ولا تترددْ.

فإن بداخلك قدرات لو استثمرتها الاستثمار الصحيح ستكون من المعجزات التي يُشار لها بالبنان، الوقت يمضي والعمر ينقضي، فلا تضيعه على سفاسف الأمور، بل ابدأ من هذه اللحظة.

يقول مصطفى صادق الرافعي معجزة الأدب العربي: «إذا لم تزدْ على الحياة شيئًا تكن أنت زائداً عليها».

عملاق الأدب العربي

تراقصت أسوان فرحًا بقدومه، وتباشر الأدب العربي بمولده، هو الأديب والمفكر، هو الشاعر والصحفي، هو المناضل في ساحات الأدب، حامل لواء شعراء عصره كما لقّبه طه حسين.

نشأ عملاق الأدب العربي في كنف أسرةٍ فقيرة، مما جعله يقف عند المرحلة الابتدائية، ولم يُكمل دراسته الأكاديمية بسبب فقر أسرته وشُحِّ الإمكانيات في ذلك الوقت، إذ لم يستطع والده إرساله إلى خارج أسوان حتى يواصل تعليمه؛ مثل أبناء الأعيان لأن ظروفه لا تسمح بذلك، وهذا الأمر لم يزده إلّا إصرارًا وعزيمة.

وُلِدَ عباس محمود العقاد في أسوان بمصر، ورغم الظروف الحالكة التي مرّت به أصرّ على طلب العلم، وكان يثقِّف نفسه بنفسه حتى أُطلق عليه موسوعي الثقافة؛ أي غزير العلم، وذلك لم يأتِ من فراغ، بل يعود إلى نهمه وولعه بالقراءة في شتى العلوم ومختلف المجالات.

اشتهر العقاد بكتابة المقالات وبمعاركه الأدبية المحتدمة مع كثيرٍ من أقران عصره، مثل: طه حسين ومصطفى صادق الرافعي وغيرهما.

لم تستهوهِ الوظائف ولم تُرضِ غروره، لأنها تحدُّ من نشاطه الأدبي وتحول بينه وبين المعرفة في نظره.

أَثْرَت مؤلفاته المكتبات العربية ولا سيما الأجنبية، فقد

تُرجم كثير من مؤلفاته بلغات أخرى، وإن جهده لواضح وملموس في الرُّقيّ بالمحتوى العربي.

قضى العقاد نَحْبَهُ، وظل اسمه يرفرف كالعلم الذي على رأسه نار، وظلت مؤلفاته خالدة تملأ صدور المكتبات؛ ينهلُ الطلابُ منها وتنتفع بها الأمة. أعاد العقاد لتراثنا العربي نبضه، بقلمه السيّال الذي لا يكلّ ولا يملّ.

وهبَ العقاد نفسه للأدب، فلم يرتبط بامرأة ولم يتزوج من بنات حواء قط، وذلك لأنه تعلق بشغفه وحبه (الكتابة والتأليف).

عزيزي القارئ: إنْ أردت أن تبني لنفسك مجدًا فدونك سيرة العقاد تستمد منها ما يُعينك بعد الله على النجاح، خذْ قلمك واغمسه في مِدادك ثم ابدأ بالكتابة، ولا ترفع قلمك حتى يجفَّ المداد، وإن جفَّ المداد لا ترفع قلمك إلّا لغمسه في المداد مرّة أخرى، اكتب واكتب سيُكسر الحاجز وينصهر فولاذ الرّهبة والتردد من الكتابة.

نحن نملك من الإمكانيات ما يفوق غيرنا، فمثل ما وصلوا نستطيع أن نصل لِما وصلوا له، بل ونتجاوزهم!

نعم نتجاوزهم، بما لدينا من وفرةٍ في المعلومات ويسرٍ في الحصول عليها.

كل ما علينا هو الجدُّ والاجتهاد والإيمان بما نقوم به إيمانًا صادقًا دافعهُ حبُّ التعلم ونشر العلم حتى ينتفع به غيرنا، كلما كان الدافع نبيلًا وساميًا كان المخرج والنتاج أكثر إتقانًا.

لا تسمح لأحد بأن يثبّط من عزيمتك أو معنوياتك، فأنت الوحيد الذي يعرف نفسه، كن شجاعًا وأطلق العنان لقلمك لربما كلمة تكتبها تنهض بالأمة.

عميد الأدب العربي

أُصيب بالرَّمد في عينيه منذ نعومة أظفاره، فلم يرَ من الدنيا سوى ظلامها الدامس وليلها الحالك، أعمى البصر نافذ البصيرة، له نفْسٌ تواقة لا يكبح جماحها سوى المعالي، فقد رُشِّح لجائزة (نوبل) أكثر من مرّة، ولم يحالفه الحظ فيها

جميعًا، وهذا دليل على كفاحه ونجاحه.

كانت زوجته سوزان تهتم بتعليمه وتثقيفه، فتقرأ له تارةً، وتارةً تساعده على القراءة فهي مصدر الإلهام بالنسبة له.

عندما نتحدّث عن طه حسين رائد النهضة الفكرية والأدبية، فإننا أمام هامة وقامة تستحق الإشادة والاحترام. من يقرأ كُتب طه حسين يعلم من خلالها من هو عميد الأدب العربي.

جعل من العمى نقطة انطلاق، فلم ييأس ولم يركن إلى القعود، بل التحق بركب العلماء، وتعلّم حتى إنه أتقن لغات عدّة؛ منها الفرنسية واليونانية إضافة إلى لغته الأم (العربية)، كان فذَّ العقل، موهوب الفطرة، لم يرضَ بطرق التعليم في عصره، لأنه يراها تقليدية لا تُشبع رغبات طالب العلم، وكان ممن يطالبون بالحداثة والتجديد في طرق ووسائل التعليم.

له الفضلُ -بعد الله- في نقل التعليم من ضيق اللحود إلى رحاب الخلود، وجعل التعليم مجانيًّا بلا مقابل، بل نادى بمشروعيته لكل مواطن، ولم يقف عند هذا الحد فهو صاحب الأيادي البيضاء على جامعات مصر، حيث ساعد

في بنائها وحث الطلّاب على الالتحاق بها.

يتمتع طه حسين بحبه للعلم، وميدانُ المعارك التي خاضها يشهد له بذلك، فقد كان ميدانًا أدبيًّا محتدم السجال لا يقبل القسمة على اثنين والبقاء فيه للأقوى.

رحل عميد الأدب العربي وترك خلفه إرثًا عظيمًا ومشرّفًا لكل مسلم وعربي.

سيّدي الفاضل: طه حسين ليس أفضل منّي ومنك، تدري لماذا؟

لأننا رُزقنا نعمة البصر بفضلٍ ومنّةٍ من الله، وبهذه النعمة نستطيع أن نقرأ ونكتب ونؤلّفَ ونتجاوز حدود طه حسين، لأننا باختصار ملكنا نعمةً عظيمةً فقدها طه حسين، ومع هذا فقد وضع له بصمةً، وصنع لنفسه ولأمّته تاريخًا، وأنا وأنت نرى الأشياء من حولنا، فما هو العائق الذي يحول بيننا وبين صناعة المجد لأنفُسنا ولأمتنا.

سارع ... ابدأ الآن ... لكي تصل غدًا.

نوبل العرب

يَفخر به الوطن العربي لأنه نموذجٌ يستحق الإشادة، فهو أول عربي مسلم يحصل على جائزة (نوبل) في الأدب، أضافت له الجائزة وللوطن العربي والإسلامي بصمة فخر، ليس لذات الجائزة بل لأنه أثبت للعالم أجمع بأن رحم الأمة العربية قادر على

إنجاب الأبطال والعظماء.

نجيب محفوظ، أول أديب عربي يحصل على جائزة (نوبل)، وقد سطّر التاريخ له صفحات من المجد والسؤدد.

اشتهر نجيب محفوظ بواقعيته في الوصف، وهذا سبب تميّز مؤلَّفاته، التي ذاعت وراجت بين أفراد المجتمع، ونالت أعماله استحسان الكثير منهم، مما جعل القرّاء يتهافتون عليها من كل حدَبٍ وصوب، فقد بلغت شعبيتها أرجاء الوطن العربي، وتجاوزتها إلى الدول الأجنبية حتَّى إنّهم ترجموها بلغاتهم المختلفة.

أحبّ نجيب محفوظ الكتابة وتولّع بها، فآثر أن يمارس ويواصل شغفه في الكتابة والتأليف على أن يكمل دراسته بمرحلة الماجستير، وذلك لكي يتفرّغ لهوايته التي تعلّق بها، ولا نستغرب ذلك منه فهو من معاصري عباس محمود العقاد وطه حسين وغيرهما من جهابذة الأدباء.

طُعن نجيب محفوظ في عُنقه، وأَثّرت الطعنة على

نتاجه الأدبي، فلم يستطع الكتابة إلَّا لفترات قصيرة متقطعة، وبعض الأحيان يُكلّف أحد رفاقه الثقات بالكتابةِ عنه.

حصل نجيب على جائزة (نوبل) بعد مُعاناة ومدّة زمنية طويلة، مارس فيها هوايته وشغفه بكل حب وتفانٍ.

سيّدي العزيز: السؤال الذي يطرح نفسه، يا ترى من سيكون ثاني أديب عربي مسلم يحصل على جائزة (نوبل)؟ لماذا لا تكون أنت الحاصل عليها وبجدارة؟

الكاتب العربي لا ينقصه شيء، بل هو من أذكى الناس عقولًا وأرقّهم مشاعر، وما وصل له نجيب محفوظ يدفعنا ويشحذ هممنا للأمام، ابذلْ كل ما بوسعك في سبيل تحقيق هدفك، الكتابة والتأليف ليسَا بالأمر الصعب أو المعجز، بل هما في متناولك ما دمت تُمارسهما بحب وشغف.

تذكّر كلامي جيدًا، ستكون لك بصمة خالدة بين عظماء الأمة؛ شريطة التفاني والالتزام، كل ما عليك هو وضع هدف قابل للتحقيق ثم رسم خطة واضحة

ثم السير عليها، وبذلك ستصل لحلمك وتراه على أرض الواقع.

إذا لم تضعْ لك هدفًا وخطة مرنة قابلة للقياس تُعينك على تحقيقه، فقمْ وانهض الآن وحددْ هدفك وضعْ خطتك، واكتبْ في أعلى خطتك أنا ثاني أديب عربي مسلم سيحقق جائزة (نوبل)، واجعلْ نيتك خالصة وصادقة مع الله ولن يخذلك الله، سارع والحق بركب المؤلفين وكن كاتبًا يُشار له بالبنان، ولا يشق له غبار.

القاسم المشترك

تعمقتُ وقرأتُ الكثير والكثير عن سير هؤلاء الأدباء العظماء، ورأيت أن هناك قاسمًا مشتركًا يجمعهم تحت مظلة واحدة هو (المعاناة).

تظهر معاناة مصطفى صادق الرافعي (معجزة الأدب العربي) في سمعه الذي فقده في العقد الثالث من عمره، وعاش بقيّة حياته أصمَّ لا يسمع شيئًا؛ وهي العلّة التي حالت بينه وبين مواصلة التعليم الأكاديمي حتى عاجلته المنية.

وتكمن معاناة عباس محمود العقاد (عملاق الأدب العربي) في كونه ابتدائي الشهادة، ولم يكمل تعليمه الأكاديمي بسبب فقر أسرته وشحِّ الإمكانيات في وقته.

أما معاناة طه حسين (عميد الأدب العربي) فهي بسبب العمى الذي أصاب عينيه في سنٍّ مبكر، وظل طيلة حياته لا يرى شيئًا.

المعاناة التي لمستها وظهرت لي جلية في حياة نجيب

محفوظ (نوبل العرب) تكمن في واقعه ومحيطه وبيئته التي يعيشها، فقد ظهرت جليّةً في معظم كتاباته، كذلك لأنه أصغر إخوانه وبينه وبين أقرب إخوانه ما يقارب العشر سنين؛ فهو يشعر بأنه طفل وحيد حينذاك.

أرى من منظوري الخاص أنهم لم يجدوا سبيلًا أفضل من الكتابة والتأليف؛ كي يعبروا عن معاناتهم من خلالها، ويفرّغوا شِحناتهم المكبوتة على صدور الورق لكي يقرأها الناس ويشعروا بهم وبمعاناتهم، فقد أخرجوها بقوالب أدبية تعبِّر عن مكنونات أنفسهم وزفراتها، فألبسوها تاج الوقار وحلية البهاء.

أخي وأختي يقول المثل: «ربّ ضارة نافعة» ...

إن هؤلاء الأدباء الجهابذة عبّروا للعالم أجمع عن معاناتهم التي يشعرون بها، فقد ظل كلٌّ منهم أسيرَ معاناته التي جعلت منهم: معجزةً أو عملاقًا أو عميدًا أو (نوبل).

إنك لا تدري أين يكون الخير؟ وفيمَ؟

لعلّ أمرًا تعاني منه في حياتك يكون هو السبب في نجاحك، فلا تندب حظك وتيأس وتتذمر من وضعك الحالي، بل

تأكد أن بعد كل ظلامٍ دامسٍ فجرًا هامسًا، كن متفائلًا، صاحب إرادة وعزيمة، لا تترك الأوهام تلعب بك يمنةً ويسرةً، بل صارعها واصرعها.

ولا حُـزْنٌ يَـدُومُ ولا سُـرُورٌ
ولا بُـؤْسٌ عليـك ولا رَخَـاءُ
إذا مـا كُـنْـتَ ذا قَـلـبٍ قَنُـوعٍ
فَـأَنْـتَ ومـالِـكُ الـدنيـا سَـوَاءُ

هذه حياتك لن يشاركك فيها أحد، اعمل وجد واجتهد، سيأتي اليوم الذي تجني منه حصاد ثمارك اليانعة، هناك أمور خارجة عن إرادتنا نحن البشر، والذي يدبرها هو الله -عز وجل- فكن على ثقةٍ عمياء بأن الله لا يُدبر لك إلّا ما فيه صلاحك وخيرك ونجاتك، يقول الله -عز وجل-: {يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ (6)}.

الله لم يخلقك عبثًا، بل خلقك لعمارة الأرض، وميّزك بالعقل عن سائر المخلوقات، تدبّر وتأمل في صنيع الله حتى تدرك فضله عليك، {وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا (113)} صدق الله العظيم.

عشْ في هذه الدنيا سعيدًا؛ لأنها ستنقضي في يومٍ من الأيام، ولن ترى منها شيئًا قطُّ، فما دمت على قيدها انهض مما أنت فيه وكن جادًّا، واعلم أنَّ معاناتك التي تشعر بها الآن هي أحد أسباب نجاحك في المستقبل القريب.

فمن رحم المعاناة يولد الناجحون؛ والشاهد على ذلك ما عرضته لك من نماذج في هذا الفصل، فكلُّ أديبٍ منهم لديه معاناة قادته إلى قمة النجاح، وفي الحديث القدسي: «أنا عند ظنِّ عبدي بي فليظُنَّ بي ما شاء»، ظُن بالله خيرًا، تلقَ خيرًا.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

الخاتمة

اعلم أنَّ النماذج التي عرضتها لك، ما هم إلّا بشر مثلي ومثلك، والفارق بيننا وبينهم الإنجاز الذي حققوه، والبصمة التي وضعوها، فظلت خالدةً يتغنّى بها التاريخ.

ختامًا: فلنتعاهد سويًّا بأننا سنُجيب النّداء، ونترك لنا أثرًا مثلما تركوا.

الحمد لله الذي بفضله تتمُّ الصالحات.

تُسعدني ملاحظاتكم ونقدكم البنّاء:

Qiosm234@gmail.com
المؤلف: قصي مدهش.

شكر وامتنان لكل من عاونني بعد الله على إخراج هذا الكتاب وعلى رأسهم:

- **الأستاذ الفاضل عبد الله باقلاقل.**

الفهرس

المقدمة ٦
إهداء ٧
الخلفاء الراشدون ٨
الصّديق رضي الله عنه ٩
الفاروق رضي الله عنه ١٧
ذو النورين رضي الله عنه ٢٥
أبو تراب رضي الله عنه ٣٢
القاسم المشترك ٤١
دُهاةُ العرب ٤٥
أرطبون العرب ٤٦
كسرى العرب ٥٥
مغيرة الرأي ٦٢
زياد بن أبيه ٧١
القاسم المشترك ٨٠
الأئمة الأربعة ٨٥
الإمام الأعظم ٨٦
إمام دار الهجرة ٩٤
ناصر السُّنة ١٠٢
إمام أهل السنة والجماعة ١١٤
القاسم المشترك ١٢٤
جهابذة الأدب ١٢٩
مُعجزة الأدب العربي ١٣٠
عملاق الأدب العربي ١٣٥
عميد الأدب العربي ١٣٩
نوبل العرب ١٤٢
القاسم المشترك ١٤٦
الخاتمة ١٥١